مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء

على أثر تحريك قضية الصحراء سنة 1974 ساهمت جريدتنا بسلسلة من المقالات تحت عنوان «حوار من اجل بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي»، حيث قيمنا الوضع آنذاك تقييما موضوعيا، مع ابداء رأينا في مختلف الاطروحات المطروحة في الساحة ثم قدمنا نقاط خمسة تعتبر في تقديرنا الخطوط العريضة لبديل تقدمي ملموس في متناول كل القوى الوطنية في المغرب العربي شريطة تجاوز المعالجة الجزئية او الرؤيا الوطنية الضيقة، وتعميما لموقفنا من قضية الصحراء ومساهمة منا في الحوار جمعت المقالات المذكورة في كتيب صدر على شكل ملحق (2) للجريدة .

ونظرا للتحرك الديبلوماسي والعسكري الذي تشاهده المنطقة من جديد، واستمرارا في متابعة الحوار قررنا فتح هذا الركن في جريدتنا نخصصه لكل الاراء التي من شأنها ان تساهم في بلورة البديل الحقيقي وتفادي سقوط منطقة المغرب العربي في فخ الامبريالية وحلفائها .

لذا يصبح من الايجابي، بل من الحتمي على كل فصائل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي عامة والمغرب العربي خاصة المساهمة في نقاش مسؤول ومعمق يهدف بالاساس الى ارجاع الصورة على حقيقتها، من اجل بلورة بديل تقدمي نضالي بابعاده التحررية والاشتراكية .

وابتداء من هذا العدد ننشر التقرير الذي كان قد سلمه المرحوم مصطفى الوالي الكاتب العام «للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب» لمناضلين اتحاديين في يناير 1973 ..

بعد ان تمكن الاسلام في شمال افريقيا. وبعد ان توافد المهاجرون العرب من الشرق. صار الاهتمام يزداد بافريقيا وينشر الاسلام فيها بعد ما اطمأن الفاتحون على مستقبل الاسلام في جنوب اوروبا (الاندلس) وكان من الطبيعي ان تكون المنطقة الصحراوية طريقا الى افريقيا مما جعلها تكون محط اهتمام بالغ من الدول المتعاقبة على المغرب خصوصا .

ونتيجة للتشابه التام بين مناخ الجزيرة العربية وطبيعتها الصحراوية بمناخ وطبيعة المنطقة ولتشابه المعيشة فان كثيرا من المهاجرين بعدما انتهوا من مهامهم كفاتحين في الشمال الافريقي، هاجروا الى هذه المنطقة تعويضا لهم عن وطنهم نظرا للاختلافات المتتالية والمناوشات التي تنشب من حين الى آخر داخل المغرب .

وكما ان تعاقب الدول والتنازع على السلطات وتناحر القبائل ادت الى ازدياد الهجرة لهذه المنطقة المحايدة الآمنة واللجوء اليها من كل مغلوب، بل وفي كثير من الاحيان الاعتصام بها من طرف الثائرين الذين يحضرون للانقضاض على اعدائهم . ونتيجة لهذه الهجرة المتعاقبة صوب الصحراء والمعاكسة احيانا منها الى المغرب، فقد كانت المنطقة مرتبطة ارتباطا وثيقا في غالب الاحيان بالسلطة القائمة في المغرب، وكثيرا ما كانت تمارس سلطات مركزية من قبل هذه الحكومات على سكان المنطقة، خصوصا في حالات الحروب، فكانت كثير منها تجند سكان المنطقة لنصرتها . **ويمكن القول ان المنطقة كانت اقليما مغربيا كسائر الاقاليم المغربية الاخرى .**

المنطقة والاطماع الاستعمارية :

بعد النهضة الصناعية وما تبعها من بحث عن الاسواق، وبعد الاكتشافات الجغرافية الكبرى، وبعد تحويل الاهتمام من البحر المتوسط الى المحيط الاطلسي، وبعد كساد الطرق البرية الطويلة، واتخاذ طريق المحيط الاطلسي لبلوغ اسواق الهند وغيرها من المناطق . بعد كل هذا ونظرا لان البرتغال كانت من اوائل المكتشفين لهذه الطرق والاسواق فانها اكتشفت من جملة اكتشافاتها جزر كناريا كما اكتشفت شواطىء الصحراء .

وقد رست سنة 1834 بواخر برتغالية في شاطىء الداخلة قصد الحصول على العبيد الافارقة وبيعهم في اسواق اوروبا . وفي هذا الاوان ايضا اسس البرتغاليون محطة تجارية في (بوجدور) ويظهر ان السكان لم يحاربوا البرتغال نظرا لكونهم كانوا اي البرتغاليين يقتصرون على البحر الذي لم يكن يكتسي اية اهمية في حياة السكان . ولانهم من ناحية اخرى كانوا تجارا ليس الا . فلم يتدخلوا في شؤون السكان في بادىء الامر . فربطت بينهم هذه العلاقات التجارية . وفي هذه الاثناء كان اهتمام دول اوروبا الاخرى باكتشاف مناطق جديدة للنفوذ وباكتشاف اسواق لتصريف منتوجاتها ولجلب المواد الاولية من هذه المناطق . وكان دور اسبانيا في الطليعية . وتطلعها الى الغنائم كبيرا . وكانت جزر الكناريا من اقرب هذه الغنائم اليها . فاتخذت كل الوسائل للسيطرة عليها وقد تم ذلك فعلا ونظرا للطبيعة الاستعمارية . ونظرا لحرصها على الاحتفاظ بمكاسبها فان اسبانيا ارتأت ان عليها للحفاظ على جزر كناريا ان تحتل الشواطىء الصحراوية المجاورة لهذه الجزر والتي من شأنها ان تهدد امنها ان وجدت بها قوة اخرى للسيطرة على سوق العبيد المستوردين من افريقيا . واستيراد المنتوجات الاسبانية . واستغلال الثروة السمكية في المنطقة ولم يقتصر التكالب الاستعماري على البرتغال واسبانيا . بل انضافت اليهما قوة امبريالية ثالثة معروفة باهتمامها بالبحار هي بريطانيا . حيث حطت اول باخرة لها بقيادة «جورج كليس» في «أخنيفس» .

المنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر :

في نهاية هذه الفترة كانت ثلاث دول استعمارية توجه انظارها الى المنطقة باهتمام : البرتغال واسبانيا وبريطانيا . وفي هذه الفترة ايضا بدأ اقتسام النفوذ بالطرق السلمية والمشاورات فيما بينها . ونظرا لقرب اسبانيا من المنطقة جغرافيا لاهميتها بالنسبة اليها كحجاب للجزر الكنارية . ولاهتمام الدول الاخرى بمناطق نفوذ اخرى كآسيا بالنسبة لبريطانيا . وافريقيا الجنوبية بالنسبة للبرتغال . ولاهتمام اسبانيا الكبير بالمنطقة سواء نتيجة لتمركزها في الجزر الكنارية . او نتيجة اهتمامها بالثروة السمكية التي ازدادت اهميتها يوما عن يوم . لهذا نشأت شركة الصيد الكناريو الافريقية التي تهتم بالمنطقة وتعمل على تركيز النفوذ الاستعماري والتي ضغطت على الحكم الاسباني فصدر مرسوما ملكيا بانشاء مرفأ (بونتون) بالداخلة . ونتيجة للاعمال الاستغلالية في المنطقة تأسست الشركة التجارية الاسبانية الافريقية لوضع محطة تجارية ولانشاء خط دائم للبواخر التجارية وذلك سنة 1883 وكان لنفوذ الشركتين الاستعماريتين داخل اسبانيا وتأثيرها على الحكم فيها ان أنشأت شركة ثالثة لصنع الاسلحة تدعى (لوبيز) والتي كونت شركة اخرى هي شركة (ترانز أتلانتيكا) والتي اخذت تتزعم المطاعم الاستعمارية في المنطقة مدعمة باطماع البورجوازية الاستعمارية . كما ظهرت ايضا مساعدة البنك العام بمدريد الذي أنشىء باموال اسبانية مساهمة مصالح استعمارية واخذت هذه الشركة تعبىء الرأي العام الاسباني باديولوجية توسعية استعمارية وفي خريف 1883 توجت هذه الشركات بالشركة الافريقية الاستعمارية . وفي 30 مارس قدم المجتمعون في الحمراء ملتمسا الى الكورتس يعلنون تأييدهم الاستعماري للشركة الاسبانو ـ الافريقية . وفي عام 1884 نزل «اميلو بونيلي» في شاطىء وادي الذهب وعقد معاهدة مع بعض روءساء القبائل الجهلة الخونة تهدف الى تنفيذ المخططات الاستعمارية . فمنح بموجبها لشركة افريقيا الاستعمارية حق استغلال منطقة تضم 500 كلم من بوجدور الى الكويرة . وقد لعبت هذه الشركة دورا رئيسيا في تركيز الاستعمار في المنطقة .

وفي هذه السنة ايضا قرر مجلس الوزراء وضع وادي الذهب ، و«عنكرة سنيتاس» هذه المناطق الواقعة في الصحراء تحت الحماية الاسبانية .

واشعرت الحكومة الاسبانية بهذا القرار كلا من الحكومة الانجليزية والفرنسية في 9 يناير 1885 الا ان هاتين الدولتين لم ترضيا عن هذا القرار فاحتجت عليه بريطانيا، وتخوفت منه فرنسا خصوصا وان فيه منافسة لها، وهي تريد اقامة خط حديدي من الجزائر الى السنيغال. الا ان موءتمر برلين سوى المشكلة بين المتنافسين، فتوجهت انجلترا الى الشرق الاوسط و«قنعت» فرنسا بشمال افريقيا، وفي هذه الاثناء دخل منازع آخر الى الميدان هو المانيا بقيادة بيسمارك الذي يقول «ان المانيا تأخذ موءقتا ازاء الخلاف الفرنسي ـ الاسباني موقف الملاحظ الساكت الصامت».

والجدير بالذكر ان بلجيكا اهتمت بالمنطقة هي ايضا، فاعلن «ليوبولد الثاني» عن ذلك قائلا: «هناك تعاون اسباني ـ بلجيكي لانشاء محطة في وادي الذهب»

ونتيجة للتواطوء الحاصل بين اسبانيا وبعض الدول الاستعمارية الاخرى، والتنافس بينها وبين البعض الاخر، فقد سارعت الى الحاق ما بين «الكويرة» و «بوجدور» مع 150 ميلا داخليا لجزر كناريا بواسطة ظهير ملكي منح اسبانيا التمتع بوضعية حقوقية في المنطقة.

الا ان التناقضات الاساسية الخانقة التي اصبحت تعيشها الرأسمالية آنذاك والتي سببت ازمات مالية وسياسية لم تسمح بتوغل الاستعمار داخل المنطقة وكذلك المواجهة الوطنية للسكان وبعدما احسوا بالخطر الاستعماري الذي اصبح يهدد كيانهم داخل ديارهم. وكعلاج للازمات المالية التي يعاني منها النظام الرأسمالي داخل اسبانيا تركت حواجز بين اسبانيا والصحراء سنة 1895 وواكب ذلك ظهور المانيا كدولة رأسمالية قوية تريد حقها من الاسواق وخلق امبراطورية تابعة لها، ونتيجة مزاحمتها للدول الاستعمارية السابقة لها **نتجت الازمة المغربية سنة 1899. فحاولت المانيا السيطرة على المغرب بواسطة سيطرتها على الصحراء** مهما كان الثمن ولو بالشراء، ووعدت الناماسا بالاقتسام معها، ولكن السكان لم يريدوا بيع ارضهم ولا التعامل مع المانيا لانهم ندموا على الحيلة التي وقعوا فيها في الماضي مع اسبانيا المتثعلبة. وقد ساعد على ابعادها عن المنطقة التسوية التي قامت بينها وبين فرنسا فمنحتها منطقة في افريقيا «طوغو» بدلا من منافستها على المغرب.

وهنا وقعت المواجهة بين اسبانيا وفرنسا مرة اخرى نتجت عنها معاهدة باريس في 27 يونية 1900 التي تممت بمعاهدة 1904 والتي تبعتها معاهدة 27 نوفمبر 1912، وعندما خلا الجو لاسبانيا في المنطقة احتلت طرفاية بقيادة «فرانسيس بانس» ولما تركز قدم الاستعمار الاسباني في الصحراء أنشأ «باتس» محطة «ماكوتيكي» في «الكويرة» سنة 1920 وحطت الشركة الاستعمارية الافريقية قواعدها في كل من الداخلة وطرفاية. ونظرا لاحساس السكان بالخطر ونظرا لتحركاتهم المناهضة لهذا التمركز الاستعماري نقلت اسبانيا الى المنطقة اكثر من الف جندي كسند لجنودها هناك.

وامام هذا الوضع لم يزدد السكان الا نفورا من الاستعمار وحقدا عليه ومقاومة له، فبدأ تنسيق العمليات بينهم وبين الحركة في المغرب اي الطرف الذي تسيطر عليه فرنسا. وقد واجهت الدولتان المستعمرتان ـ خصوصا وان فرنسا تعاني من المجابهة في موريتانيا من طرف نفس السكان ـ هذا الوضع بتنسيق عملياتها ضد الثوار وتكوين جيش خاص بالصحراء «مهاريست» للقضاء على العمليات الفدائية المناوئة لهما. ونظرا للتفوق العسكري للاستعمار على السكان في المنطقة، تم احتلال مدينة «السمارة» سنة 1934 وفي سنة 1946 قام الاستعمار الاسباني بتقسيم المنطقة الى ثلاث مناطق.

ـ منطقة ملحقة مباشرة بالدولة الاسبانية تحوي ما بين الكويرة وبوجدور.

ـ منطقة مستعمرة من بوجدور الى الدورة.

ـ منطقة محمية من الدورة الى وادي درعة «تافنيدلت».

لكن سكان هذه المنطقة ظلوا يحاربون في كل المناطق الثلاث ومرتبطين بنضالات اخوانهم في المغرب، ولما ظهرت الحركة التحررية ارفدوها تحت شعار الجهاد في سبيل الله او على الاقل تأثروا بتأثيرها. وقد استقطب جيش التحرير في المغرب عددا هائلا من المناضلين المنتمين الى المنطقة، والذين قاموا بعمليات بطولية كادت تحطم الاستعمار في المنطقة لولا القضاء على جيش التحرير. وهكذا طلبت الحكومة المغربية في السنوات الاولى من الاستقلال من جيش التحرير الصحراوي الانخراط في الجيش النظامي، ولكن المقاومين الصحراويين في جيش التحرير رفضوا لانه في نظرهم لا زال باب الجهاد لم يقفل لان العدو لا زال يحتل اراضيهم، وهكذا على كل حال حل جيش التحرير ودخل عدد قليل منه في الجيش النظامي، ورجع العدد الاخر وهو الاكثر الى الارض المستعمرة وهو الان يعمل في الطرق، او في حفر الارض ومنهم من يعيش في بطالة دائمة، ومنهم من فرضت عليه الاقامة في البادية، ومن المعلوم ان المظاهرات التي يقوم بها العمال في الطرق وفي وادي بوكراع والعيون والداخلة والسمارة يقودها عمال سبق لهم ان كانوا في جيش التحرير كما ان العمليات التي تدار ضد المستعمر الفاشستي لهم باع كبير فيها.

ـ يتبع ـ

اعتذار

واعدت الجريدة في عددها السابق. قرائها بمقال عن حركة الضباط الاحرار.. ولكن نظرا لضيق الحجم ووفرة المواد تعتذر الجريدة عن اضطرارها لتأخير هذا المقال الى العدد المقبل.

حـــــوار :

من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي

على اثر تحريك قضية الصحراء سنة 1974 ، ساهمت جريدتنا بسلسلة من المقالات بعنوان : «حوار من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي» . . وقد قيمنا آنذاك الوضع تقييما موضوعيا ... كما أبدينا رأينا في مختلف الأطروحات المعروضة في الساحة .. ثم نقاطا خمسة ، تعتبر في تقديرنا الخطوط العريضة لبديل تقدمي ملموس في متناول كل القوى الوطنية في المغرب العربي ، شريطة تجاوز المعالجة الجزئية ، أو الرؤيا الوطنية الضيقة . وتعميما لموقفنا من قضية الصحراء ومساهمة منا في الحوار ، جمعت المقالات المذكورة في كتيب صدر على شكل ملحق رقم (2) للجريدة .

ونظرا للتحرك الديبلوماسي والعسكري الذي تشاهده المنطقة من جديد ، واستمرارا في متابعة الحوار . . . قررنا فتح هذا الركن من جريدتنا ، نخصصه لكل الآراء التي من شأنها أن تساهم في بلورة البديل الحقيقي ، وتفادي سقوط منطقة المغرب العربي في فخ الأمبريالية وحلفائها .

لذا يصبح من الايجابي ، بل من الحتمي ، على كل فصائل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي عامة ، والمغرب العربي خاصة ، المساهمة في نقاش مسؤول ومعمق يهدف بالأساس الى ارجاع الصورة على حقيقتها ، من أجل بلورة بديل تقدمي نضالي بأبعاده التحررية والاشتراكية .

وقد نشرنا في العدد السابق الحلقة الأولى من التقرير الذي كان قد سلمه المرحوم مصطفى الوالي ، الكاتب العام السابق «للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب» لمناضلين اتحاديين في يناير 1973 . ونوالي في هذا العدد تقديم الحلقة الثانية :

الوضعية الاجتماعية :

ان الوضع الاجتماعي في الساقية الحمراء ووادي الذهب ، يصطبغ بالمعطيات التالية ، وتتأثر بمعطياتها أي بصبغتها ، وتظهر فيها النتائج الحتمية كما يلي :

- ان المنطقة صحراوية .
- انها جزء من القارة المتخلفة الافريقية .
- تستعمرها دولة متخلفة ونظامها عسكري فاشيستي وجائع .

ولنتناول الوضع بشيء من التفصيل ندرس :

1 - النظام القبلي :

لما كان النظام القبلي هو النظام السائد في شمال افريقيا عموما ، وفي المنغرب على الخصوص منذ القديم والى عهد غير بعيد ، فقد انتقل هذا النظام الى الصحراء عن طريق سكانها الذين جاءوا من الشمال ، وقد غذته طبيعة الصحراء القاسية وألحت على التشبث به ، وهكذا كانت المنطقة تحتوي على عدة قبائل متميزة عن بعضها ، وان كان هذا التمييز لم يكن حتما نتيجة وضعية اقتصادية معينة ، كما أنه لم يفرض دائما تخصصا قبليا من ناحية الوضعية الانتاجية ، وعلى كل حال كانت كل قبيلة تخضع لشيخ اجتمعت حوله كلمة أكابرها ، واقتنعت غالبيتها بسداد رأيه وحسن تفكيره ، وثبتت لها شجاعته وحسن تدبيره ، ولم يكن هذا الشيخ متسلطا ولا مضطهدا ولا اقطاعيا .. وانما كان في الغالب شخصا كريما سديد الرأي ، مقداما عند الشدائد . وقد كونت القبائل فيما بينها مجلسا لحل النزاعات المستعصية فيما بينها عرف باسم «آيت أربعين» ، وكان هذا المجلس يشكل سلطة تشريعية عليا ، ويرجع التنفيذ الى أفراد كل قبيلة التي من عادتها الخضوع الطوعي لشيخها .

وقد قضى الاستعمار على هذا المجلس كما قضى على الشيخ بالمفهوم المتميز عمليا ، اذ أصبح الاستعمار يعين الشيوخ من الحائزين على رضاه بعمالتهم له ، وحقدهم لشعبهم ومناهضتهم لمطامحه في التحرر والكرامة ، فأصبح الشيخ بدلا من أن يكون من أذكى قبيلته ، أصبح من أبلدها وأسفلها ، وبدلا من أن يكون من أكرمها وأبذلها لماله ولنفسه ، أصبح من أحرصها على جمع المال لشراء سيارة «سانتانا» والفراش الأمبريالي كي يرضى الحاكم الاسباني الاستعماري اذا دخل عليه المنزل ، كما أنه أصبح ، بدلا من أن يكون من أشجع قبيلته وأكثرها استعدادا للدفاع عن كرامتها ، أصبح من أجبنها وأكثرها استعدادا لبيع كرامة كل الشعب الصحراوي لا القبيلة فقط «بخنشة من الدقيق» . وعلى العموم ، فان الشيخ أصبح انسانا بليدا جبانا عميلا للاستعمار . كما أن المجلس قضي عليه نهائيا .

ومن سمات السكان أيضا أنهم رحل يجوبون الصحراء ، لا المستعمرة فقط ، بل الكبرى كلها تقريبا بحثا عن المراعي لدوابهم ، وكثيرا ما كان الماء والمرعى سببا في الخلافات بين القبائل ، غير أن هذه القبائل كانت تتحد وتتكاثف باسم الجهاد لطرد الغزاة المستعمرين ، وقد ظهر ذلك في كثير من النضالات التي خاضتها سواء ضد فرنسا في الشرق والشمال ، أو ضد اسبانيا في الجنوب والغرب .

مناضلون من جيش التحرير بالجنوب

2 - بداية التمدن :

بدأ التمدن في المنطقة بعد السيطرة الاستعمارية عليها وانشاء بعض المراكز الحضارية . ويمكن القول أنه لم يوجد لدى السكان اهتمام بالتمدن الا بعد التمركز الحقيقي للاستعمار ابتداء من الخمسينات حيث بدأت تظهر بعض ميادين العمل . كما بدأ الضغط يزداد على السكان الرحل نتيجة قصف البوادي بالطيران الفرنسي والاسباني وما تبع ذلك من تدهور في البداية وتتابع الجماعات ، كما أنهم أصبحوا يمنعون من اجتياز الحدود المصطنعة التي خلقها الاستعمار بين المنطقة والدول العربية المجاورة لها .

وقد كان لهذه الهجرة من البادية الى المراكز الحضرية من جهة ، وللتمركز الاستعماري واكتشاف المعادن من جهة أخرى دور هام في تغيير الوضع الاجتماعي في المنطقة ، فقد تحولت القرى الموجودة في الاقليم بفعل هذا ، الى شبه مدن في بعض الأحيان (السمارة) ، كما انشئت بعض المراكز الجديدة سواء في المناجم أو في المراكز العسكرية الاستراتيجية .

وهكذا ، بعد أن كان الصحراويون رحلا ينتقلون في الصحراء ، تحول الكثير منهم الى مدنيين بدافع الفقر نتيجة موت الحيوانات ، الى جانب الدوافع السابقة ، وبدأت تظهر بعض الفئات من موظفين وعمال وجنود ، هذه الفئات التي تحس بالتناقض الصارخ الموجود بينها وبين الاستعمار ، نظرا للحيف الظاهر الذي يلحقها والذي يتجسد في سيطرة المرتزقة الاسبانيين عليها ، لا من الناحية السياسية والاقتصادية فقط ، بل أيضا من الناحية الاجتماعية ، كما أن هناك أيضا حيف اجتماعي يظهر في عدم المساواة في أي ميدان من الميادين ، لا في المناجم ولا في الوظائف ولا في أي ميدان ، فأينما توجهت السيادة والغلبة للعنصر الاسباني المرتزق ، وهي ، أي الجماهير الصحراوية المدنية أي التي تعيش في المدينة ، تحس بأنها أرغد عيشا وأحسن حالا من البدو الرحل ومن العاطلين .

مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء

هذه الفئات أيضا تتفاوت من حيث تناقضها مع الاستعمار ، فالعمال الذين يوجدون في أقبح ظروف العمل والذين لا يتمتعون بأي تنظيم سياسي ، ولا أي تكوين تقني ، والذين يستغلون بصورة وحشية ذات ميز عنصري فهم يحسون بالتناقض أكثر من أي فئة أخرى ، والجنود الذين لا يلحقون بالجيش الاسباني النظامي ، ويبعدون عن أي تكوين حربي حقيقي ، كما أنهم يبعدون عن المدن وعن التشبع بالمظاهر الحضرية رغم غرابتها وعشوائيتها واستغلالها واصطناعيتها ، مع استغلالهم لهم أبشع استغلال كسياط ضد اخوانهم الصحراويين ، هؤلاء أيضا يجدون أنفسهم في تناقض واضح مع المستعمر لما يظهر لهم من ميز عنصري بينهم وبين الدخلاء المستعمرين .

وما قلناه عن العمال والجنود ينطبق أيضا على بقية الموظفين الثانويين - وان كان الكل ثانويا - وعلى صغار التجار الذين يتعرضون لأسوإ عمليات الاستنزاف .

أما الفئة التي يعتمد عليها المستعمر والتي سخرها لمصالحه ، فهي من يسميهم بالشيوخ يعينهم الأمبريالي المستعمر ، بالرغم من كل معارضة ، وينفخ في أذهانهم من حيله وأكاذيبه . والغريب في الأمر أن مفهوم الشيخ قد تغير من شخص له قبيلة معينة يتزعمها الى شخص يعينه المستعمر بغض النظر عن وجود القبيلة ، مما أدى الى أن يوجد اليوم الواحد عشرات الشيوخ ، وهي عملية يقصد بها تفتيت وحدة القبيلة ، وبالتالي تفتيت المجتمع والقضاء على مراكز الشيوخ الحقيقيين الذين يهددون مصالح الاستعمار ، ثم كذلك فتح باب التنافس بين الشيوخ على باب العمالة والخيانة وخدمة الاستعمار .

3 - الوضعية التعليمية :

قديما كان التعليم محصورا في المبادئ الدينية وما يتصل بها من علوم العربية ، ولم يكن يلقن في مدارس نظامية بل في مساجد متنقلة مع الرحل أو في مساجد القرى الموجودة في المنطقة . وفي بداية الاستعمار ، نظرا لعدم تمركزه أولا ، ولنفور المواطنين من أي تعامل معه لم تفتح مدارس عصرية ، كذلك لأن الاستعمار لم يرد انشاء هذه المدارس لأنه يشعر أنها هي السلاح ضده ، بل تأخر ذلك الى الخمسينات ، والى أن فرضته الظروف . ومع ذلك أيضا ، فان مختلف الحواجز توضع أمام المنخرطين في هذا النوع من التعليم . فالنسبة القليلة التي تتاح لها فرصة الالتحاق بالمدارس ، توجه الى التعليم المهني البسيط الذي يخدم مصالح الاستعمار ، وكذلك في وظائف ثانوية تستخدم سلاحا ضد الصحراويين ، ولا ينتقل من الابتدائية من هذه المدارس الى الثانوي الا 5 % ويعلمون في هذه المدارس كيف يقدسون اسبانيا كأرقى دولة وأحضر واغنى واجمل وأكثر انسانية ...من اي دولة اخرى ، ثم من جهة أخرى بأن أقبح وأرذل مجتمع ، هو مجتمع الصحراويين ، وأن الذي أخرج التلميذ من ذلك الجحيم هو اسبانيا ، فعليه أن يقدسها لانسانيتها ، أما الذين يصلون الى الثانوي ، فانهم يفصلون عن المجتمع الصحراوي ويلحقون بالمجتمع الاسباني ، وذلك أولا بتعميق جهلهم ونسيانهم لمجتمعهم وأرضهم ، ثم من ناحية أخرى بتعليمهم كل حسن في اسبانيا مهما صغر ، بل انه في بعض الأحيان تشوه اليهم الحقائق ، فيقلب السيء اليهم حسنا ، كما يربطون أيضا باسبانيا بتلك الزيارات المدبرة لداخل اسبانيا ، حيث يحاول الاستعمار غرس عادات المجتمع الاسباني ، تلك العادات التي تكره الشاب الصحراوي تلقائيا في عادات مجتمعه وتشيينها اليه . ويرجع بأغلبيتهم الى وظائف ثانوية في البنايات الحكومية الاستعمارية ، و 3 % منهم تصل الى الجامعة لكي تكلف بها تنظيمات شبابية فرنكوية لتغرس في عقولهم حب السكرة والأغنية الاسبانية والفتاة الاسبانية ، وهي حسب طريقة التعليم الفرنكوية لا تعلم الا كيف تحكم وكيف يجلس على المكاتب حتى ولو قدم اليها الاستعمار تلك المكاتب صنعا من جماجم الصحراويين . والجذير بالذكر أن هذا التعليم شجع بعد حرب جيش التحرير التي أبانت أن المبادئ الاسلامية مهما عمل الاستعمار على تجميدها وسطحيتها وتغيير محتواها في بعض الأحيان فهي صالحة لتعبئة الجماهير عليه كوضعية لاانسانية أوصى الدين الاسلامي بوصفه فكرة انسانية على محاربتها ، ولكن خطة ما بعد التحرير أيضا ، أي ما بعد حرب جيش التحرير أبانت عن فشلها أي أن ثقافة الاستعمار ستصبح ضده - هذا ما أثبتته حادثة الزملة - أصبح أيضا يحاول القضاء عليها وذلك بخنق الشباب وطرده من المدارس ، والدعاية ضد هذا التعليم ، ومحاولة الركوب على الدين باستقطاب حملته وخلق طبقة مرتزقة منهم تعمل في القضاء المصطنع ، وتصلي في المساجد الرمزية ، ومحاولة التلاعب بالجماهير وذلك بتهنئتهم بالأعياد ، وحمل عملائهم الى الحج السياسي الهادف الى مد سيطرة اسبانيا على الصحراويين .

4 - الوضعية الصحية والنمو الديموغرافي :

نظرا لانعدام وجود وسائل عصرية للفلاح ، فالوضع الصحي سيء الى حد كبير ، خصوصا بين البدو الذين يشتد بينهم نقص التغذية ، وبين العمال الذين يتحملون أقبح ظروف العمل ، وهذا يؤثر بدوره على الوضعية الديموغرافية ، فتكثر الوفيات بين المواليد حيث تتعدى 10 / 6 ، وتقل نسبة النمو الديموغرافي وتسود البنية الهرمة ، وينخفض مستوى متوسط العمر حيث لا يصل تقريبا الا 40 سنة .

5 - عملية الاستيطان الاسبانية :

من جملة الوسائل التي تعزز اسبانيا بها وجودها داخل المنطقة المحتلة ، أنها عمدت الى تشجيع الاسبانيين على الهجرة الى المنطقة ، فوفرت لهم ظروفا حسنة للعمل في مختلف المجالات .. وقد شجعها على ذلك مبدأ تقرير المصير ، فصارت تنقل أفواجا عديدة منهم الى المنطقة وتغريهم بكل الوسائل المادية التي يفتقدونها داخل اسبانيا ، في نفس الوقت تضايق الصحراويين وتجتهد في وسائل التضييق عليهم ليخرجوا الى البلاد المجاورة ، أو في البادية ، هذا اذا لم تطردهم . وهكذا بعد أن كان المجتمع عربيا محضا يتألف من قبائل عربية ، أصبح اليوم مجتمعا مخضرما يوجد فيه الأوربي الى جانب الصحراوي ، بل ربما عدد الاسبانيين في بعض المدن يفوق عدد الصحراويين نتيجة لعملية الهجرة العكسية بين الصحراويين والاسبانيين .

6 - المدن :

أهم مدن المنطقة ثلاث :

1) العيون : عاصمة المنطقة اداريا ، وترتكز فيها الادارة العامة الاستعمارية التي تسيطر على الاقليم الشمالي ، ويوجد فيها كبار الضباط وقيادات الجيوش الاستعمارية ، كما توجد فيها المكاتب الرئيسية للشركات الاحتكارية العاملة في المعادن ، أو الباحثة عنها ، هذا الى جانب الشركات التجارية التي تجلب أنواع السلع الغربية لتغزو بها شمال افريقيا .

ورغم كل هذا ، فان الصحراويين الذين يسكنون هذه المدينة يقطنون في أكواخ قصديرية أو في بيوت ضيقة وغير صحية ، والسلطات الاستعمارية تضع كل العراقيل أمام السكان حتى لا يبنو مدنا وحتى على الأقل مداشر أهلية ، وخصوصا ابتداء من سنة 1967 .

2) الداخلة : أول ميناء في المنطقة ، وبها منطقة صيد هامة ، أصبحت اليوم تكتسي أهمية دولية بعد هجرة الأسماك اليها من شمال وغرب المحيط . وفيها قواعد عسكرية ، من جملتها قاعدة الولايات المتحدة المطرودة من ليبيا (Wheelus) .

3) مدينة السمارة : تقع في قلب الصحراء ، توجد بها معاقل الجيوش البرية الاسبانية ، وتكتسي صبغة بدوية ، لأنها موضوعة في منطقة البدو ، كما أنها تكتسي صبغة استراتيجية أيضا ، لأنها في وسط المنطقة تقريبا .

يظهر من هذه المدن أنها مخططة من طرف المستعمر الفاشيستي لأغراض تركيز أنيابه الخشنة في المنطقة ، ويظهر كذلك واضحا أن المستعمر يحارب بكل الوسائل حركة البناء في القرى ، اذ أنه يجمع رأس المال في هذه المدن ، كما أنه لا يوفر مواد البناء ، ويمنع البناء بدون رخصة ولا يعطي الرخصة ، وان كان الواقع فرض أن تبتدئ معالم مدينة عمالية بالظهور في وادي بوكراع .

يتبع

حـــــوار :

من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي

على اثر تحريك قضية الصحراء سنة 1974 . ساهمت جريدتنا بسلسلة من المقالات بعنوان : «حوار من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي» . . وقد قيمنا آنذاك الوضع تقييما موضوعيا ... كما أبدينا رأينا في مختلف الأطروحات المعروضة في الساحة .. ثم نقاطا خمسة . تعتبر في تقديرنا الخطوط العريضة لبديل تقدمي ملموس في متناول كل القوى الوطنية في المغرب العربي . شريطة تجاوز المعالجة الجزئية . أو الرؤيا الوطنية الضيقة . وتعميما لموقفنا من قضية **الصحراء** ومساهمة منا في الحوار . جمعت المقالات المذكورة في كتيب صدر على شكل ملحق رقم (2) للجريدة .

ونظرا للتحرك الديبلوماسي والعسكري الذي تشاهده المنطقة من جديد . واستمرارا في متابعة الحوار . . قررنا فتح هذا الركن من جريدتنا . نخصصه لكل الآراء التي من شأنها أن تساهم في بلورة البديل الحقيقي . وتفادي سقوط منطقة المغرب العربي في فخ الأمبريالية وحلفائها .

لذا يصبح من الايجابي . بل من الحتمي . على كل فصائل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي عامة . والمغرب العربي خاصة . المساهمة في نقاش مسؤول ومعمق يهدف بالأساس الى ارجاع الصورة على حقيقتها . من أجل بلورة بديل تقدمي نضالي بأبعاده التحررية والاشتراكية .

وقد نشرنا في العدد السابق الحلقة الثانية من التقرير الذي كان قد سلمه المرحوم مصطفى الوالي . الكاتب العام السابق «للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب» لمناضلين اتحاديين في يناير 1973 . ونوالي في هذا العدد تقديم الحلقة الثالثة :

الوضعية الاقتصادية في المنطقة

ارتأينا تقسيم الاقتصاد الصحراوي الى قسمين :

- المرحلة الاولى ، مرحلة ما قبل اكتشاف المعادن ، والتي تتجلى في الثروات الحيوانية والتجارية والزراعية .
- المرحلة الثانية ، ما بعد اكتشاف المعادن ، والشروع في استغلال الخيرات الباطنية للارض .

ولعل هذا التطور الاقتصادي ، هو الذي غير كل معطيات المشكل السياسي بحيث منحه أبعادا لا على المستوى الداخلي فحسب ، بل وحتى على المستوى الدولي .

فالاقتصاد البدوي ، يتشكل في الثروتين الزراعية والفلاحية . اما فيما يخص الثانية ، فيظهر ان الصحراء ، بحكم وضعها الجغرافي ، لا تعرف من المطر الا النذر القليل ، حيث تشتد الحرارة احيانا الى نحو 60 درجة .. وهذا ما يفسر انعدام الوديان . فليس من الغريب ان نجد الصحراء المستعمرة لا تحتوى الا على العدد القليل من الواحات الطبيعية . اذن ، فخلاصة القول ، ان الارض مجدبة ، والطبيعة قاسية - وهذا ما يتوضح لنا بعد رؤية عدد الهكتارات المزروعة خلال بعض السنوات ، وعدد الميلمترات المائية في بعض السنوات كذلك - . ففي سنة 1963 ، نزل من المطر 5 مم . وفي سنة 1964 اثنان مم - فالطبيعة لها اذن التأثير المباشر على كميات وعدد الاراضي المزروعة . والتربة طبيعيا ، اي الوضعية الجيوليوجية غير صالحة للزراعة الا في القليل الناذر . ويمكن تقسيم المناطق الصالحة للزراعة الى : الكرارة ، الواحة الطبيعية ، المعاذر .

أ - لكرايز : هذا النوع من الاراضي يشكل شبه دائرة ، تحوطها نباتات يتجمع فيها الماء ، وهي ذات عمق يتراوح بين 1،50 م الى 30 م تقريبا . وخلال تهاطل الامطار ، يتجمع الماء في الدائرة المكونة ، فينتج ما يسمى «بالضاية» ، بينما كل الارض المحيطة تكون الارض الخصبة ، والتي يشرع في حرثها بطريقة ديموقراطية من طرف القبائل ، واستغلال هذه الارض يتم بطريقة جماعية . هذا مع العلم ، انه ظهرت لدى الشيوخ نزعة فردية تملكية لهذه الكرايز .. اذ اصبح البعض منهم يستولي على لكراره ، ويبني بها «نطفيه» ، ويدعي ملكيتها .. مما اثار نقاشا حادا في الجمعية العمالية «لا سمبليه» .

ب - الواحة الطبيعية : اما اذا نظرنا الى الواحة الطبيعية ، نجد عدد الواحات لا يفوق الستة : واحة **السمارة والگلتة والگصيعات والعرگوب وامديگلي** .. ويكثر الماء نسبيا ، الشيء الذي يمهد للزراعة المستمرة . ولكنها معطلة من قبل الاستعمار .

ج - المعاذر : وترتبط بمرور الاودية ، وسبق ان اشرنا الى قلتها ومن خلال القاء نظرة على عدد الهكتارات المزروعة خلال سنوات اربع ، يتجلى بوضوح مدى ضعف الامكانيات الزراعية . ثم حركتها في 1964 ، وهي السنة التي كان ان يحدث فيها تغيير اجتماعي لقلة الحيوانات ، وكاد التحول ان يسير نحو الزراعة ، لولا منع الاستعمار الفاشستي لذلك ،

	1960	1962	1963	1964
ذره	-	-	-	150 هكتار
شعير	187	462	5471	2350 هكتار
متنوعات	-	-	-	250 هكتار

يتضح من الجدول أعلاه ، ان المواد الغذائية ، تقتصر على الشعير والذرة ، الشيء الذي يفرض على الصحراوي ، استيراد المواد الاخرى ، وحتى هذه في 10 / 9 أعشارها .

اذا كانت الفلاحة بحكم الطبيعة قليلة ، فلها ايضا أكبر التأثير على تربية المواشي ، التي تشكل الدخل الرئيس بالنسبة للدخل الفردي في المنطقة ، فتربية المواشي هذه ، تحتل الدرجة الاولى في حياة الصحراوي الاقتصادية . فجل الصحراويين يهتم بالرعي ، وتربية المواشي ، كالابل والغنم والماعز . ان الاقتصاد المحلي معتمد على عدد الماشية الموجودة في ظرف معين ، فتكثر الابل التي تساعد طبيعتها على مقاومة الشدائد من حرارة وقلة ماء ... واذا ما اعتبرنا عوامل الانتاج في الاقتصاد ، من عمل ورأس مال وتنظيم ، فان الابل تشكل العنصر المالي . اما الاغنام ، فتوجد بكثرة على السواحل ، والمناطق المعتدلة ، وحيث توجد السهول المنخفضة المنبتة للاعشاب . فالثروة الحيوانية ، تمد الصحراوي بالصوف ، ولبن الاغنام ، ووبر الابل ، وشعر الماعز التي تصنع منه الخيام . ففي الساقية الحمراء وحدها في سنة 1946 ، كان يقدر عدد الابل بـ ٥٠ ألف جمل ، و650 ألف ما بين غنم وماعز ، فيكون مناب الفرد يتعدى 3،8 جملا و 50 رأس غنم وماعز . اما في سنة 1949 ، فينخفض العدد الى 32 ألف جملا ، و 250 رأس غنم وماعز . اذن ، فالمعدل الفردي تحول الى 2،4 جملا ، و 20 رأس ما بين غنم وماعز ... ولا بد من التعرض الى ظاهرة استعمارية ، تتلخص في تشجيع استيراد نوع من الماعز الى المنطقة ، ومحاولة احلاله محل الماعز الاصلي ، في محاولة للقضاء على الماعز الاصلي بواسطة ابداله بماعز كناريا ، لانه يدر لبنا أكثر ، وفي الواقع انه يستهلك فوق استهلاك الفرد الصحراوي العادي ، لكي يدر تلك النسبة من اللبن ، وهي رغم انها محاولة لربط كل الجوانب ، بما فيها الجانب البدوي ، الاقتصادية الصحراوية بالاقتصاد ، اي السوق الاستعمارية ، الا انها الى جانب ذلك ايضا ، عملية لاستنزاف الثروة ، ونشر البؤس والفقر ، لان ثمن شاة واحدة كنارية ، يعادل 5 أصليات . مثلا ، كان ثمن الكنارية سنة 1961 ، 150 درهما ، اي 124 000 بسيطه ، وثمن الصحراوية 50 درهما ، اي 18 000 بسيطه ، وارتفع الرمز سنة 1968 الى 300 درهما ، اي 48 ألف بسيطه ، وثمن المحلية 60 درهما ، اي 19 600 بسيطه ، وهي مهددة بالموت غالبا هذه العنز ، لان العناية الطبية بها معدومة ، ولان امكانيات تمويلها غالبا غير متوفرة .

وعلى العموم ، فالحيوانات في البادية تتدهور باستمرار لقلة الامطار والامراض المتتالية التي لا تقابلها جهود بيطرية ، وفي نظرنا ان التدهور المهول في الحيوانات ، يرجع الى النشاط النووي المتهالك عموما ، كما يرجع على الاخص ، الى ان القواعد الامبريالية المجاورة للمنطقة نشطة في هذا الميدان . ويمكننا من خلال الجدول الآتي ان نلمس مدى التغييرات التي تطرأ على الماشية في ظرف معين :

	1960	1961	1962	1963	1964
الابل :	49884	24130	10150	24300	24625
الغنم :	26278	6808	2920	5800	8630
ماعز :	877	867	241	790	517
حمير :	–	–	–	–	–
متنوعات :	180	123	24	139	546

ومن بين المواشي التي كان الصحراويون يتعاطون تربيتها ، والعناية بها ، الخيول . اذ كانت الصحراء تضم عددا كبيرا من جياد الخيل ، تماما

◄◄

مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء - الحلقة الثالثة -

كالابل وتشكل العماد الرئيسي لتحركاتهم ومقاومتهم للاستعمار الدخيل، الشيء الذي دفع بقوات الدوائر الاستعمارية، الى اصدار قانون يقضي بمنع الخيل في المنطقة، فتم ترحيل الكثير منها الى جزر كناریاس، وتهجير ما بقي الى الاراضي الشمالية.

التجارة : من الاسباب التي دفعت بالاستعمار الغربي الى التسرب والتمركز في المنطقة، دوافع تجارية واستراتيجية، والتي تجلت في احداث محطة لترويج البضائع الغربية، واستبدالها باخرى محلية، وعلى العموم، فقد مرت التجارة بمرحتلين :

1 - التجارة القديمة : كبقية الاراضي الافريقية، كانت تتميز التجارة في الصحراء بالمقايضة، فعلى المستوى المحلي، كان السكان يتبادلون موادهم بأخرى : فالخيمة من الشعر مثلا تساوي جملين. والرأس من الغنم، يساوي 10 أمتار من الكتان. ويكثر التبادل، وينقص نتيجة لكثرة القوافل الواردة من الشمال الافريقي وافريقيا السوداء. وكانت تتوقف هذه التجارة على بضائع مستوردة ومحلية. وكانت الواردات تشمل القطن والصوف والحرير والزيت والوقود والسكر والشاي والشمع ... وكانت تجارة القوافل مزدهرة ومشكلة في خطين :

- القوافل التي ترد محملة من الاسواق الشمالية، بما في ذلك كولمين وتندوف (السكر، الشاي، التياب، الزرابي، والمواد الغذائية)، والمتوجهة الى موريتانيا والسنيغال.

- اما الخط التجاري الثاني، فهو يشمل القوافل الذاهبة من تندوف وتاودني وتمبكتو المحملة بالمواد الصناعية المتوجهة الى الشمال الغربي، وتعود من السودان بالقطن والتوابل والعطر. وهناك أسواق الجمال في كولمين وأسا التي يفد اليها سكان الساقية الحمراء ووادي الذهب.

2 - التجارة حديثا : تطورت ا لتجارة شيئا فشيئا منذ الثلاثينات، فمن تجارة متنقلة الى تجارة قارة. ومن تجارة تعتمد على المقايضة، الى تجارة نقدية، ومن تجارة حرة الى تجارة احتكارية استعمارية. فكان من نتائج ذلك، ظهور بعض القرى، وتسرب مواد اوروبية عن طريق مينائي الداخلة، وميناء أنوا ذيبو قبل الستينات - لا زال ولكنه باعتبار آخر - الى المناطق الصحراوية المعروفة آنذاك ببلاد شنقيط. وسياسة تسرب التجارة الاوروبية، كانت مدعمة بالاحتلال الفعلي للصحراء، فكان متعاطو هذه التجارة عسكريين اسبانيين من الوحدات العسكرية

وفرق البوليس المركزي والوطني. واكتست التجارة صيغتها النقدية، خصوصا بعد الخمسينات، حيث تمركز الاستعمار الاسباني الذي لاقى أعنف مقاومة. واتضح ان هذه التجارة الاحتكارية الغربية كانت تدخل في نطاق المخططات الاستعمارية، التي تهدف الى ان تجعل من المنطقة سوقا للاحتكار الاسباني، فكانت بهذا وسيلة تفقير واستغلال.

التجارة الحديثة وسيلة تفقير :

أ - أمام قساوة الطبيعة، يتضاءل أمل الصحراوي في مواصلة تربية المواشي والاعتماد على المنتوجات الحيوانية، فتصبح بذلك الحياة في البادية صعبة. وأمام يأسه من انتظار المطر يعود مرغما الى اللجوء الى المدينة، فيبيع ما لديه من شياه وغنم وابل لاقتناء سيارة «لاندروفر» الباهضة الثمن والكثيرة التكاليف، فيصبح فقيرا أو يتعاطى التجارة. وغالبا ما يقع في الافلاس، لأن الصحراوي ليس محترفا في التجارة، ولأنه لا زال يحتاج الى الاستهلاك لا الى التوفير، وهو حامل لأعباء عائلة تتكون في الغالب من ما وراء 10 أفراد، فيوزع عليهم المواد، فتكون النهاية الخسارة، ثم البطالة.

ب - توجد ظاهرة منتشرة، صنعها الاستعمار الفاشيستي، وهي ظاهرة القروض «ليطرات» المصممة في كل القطاع التجاري، فأمام انعدام النقود لاقتناء بعض المؤاد لتعاطي التجارة، يأتي الاستعمار الاسباني متقنعا، كمساعدة بواسطة «الليطرات» ليدفع للصحراوي سلعا تعاني من الكساد والتكدس، مقابل «ليطرات»، لكل منها ثمن يجب أداؤه في ظرف معين. وكثيرا ما يصعب على التاجر الصحراوي بيع ما لديه، وحتى أخذ ثمنه في الكثير، لأنه أعطاه لذويه المحتاجين.. غير أن سد الديون المجمدة في «ليطرات»، يتوقف على البيع،

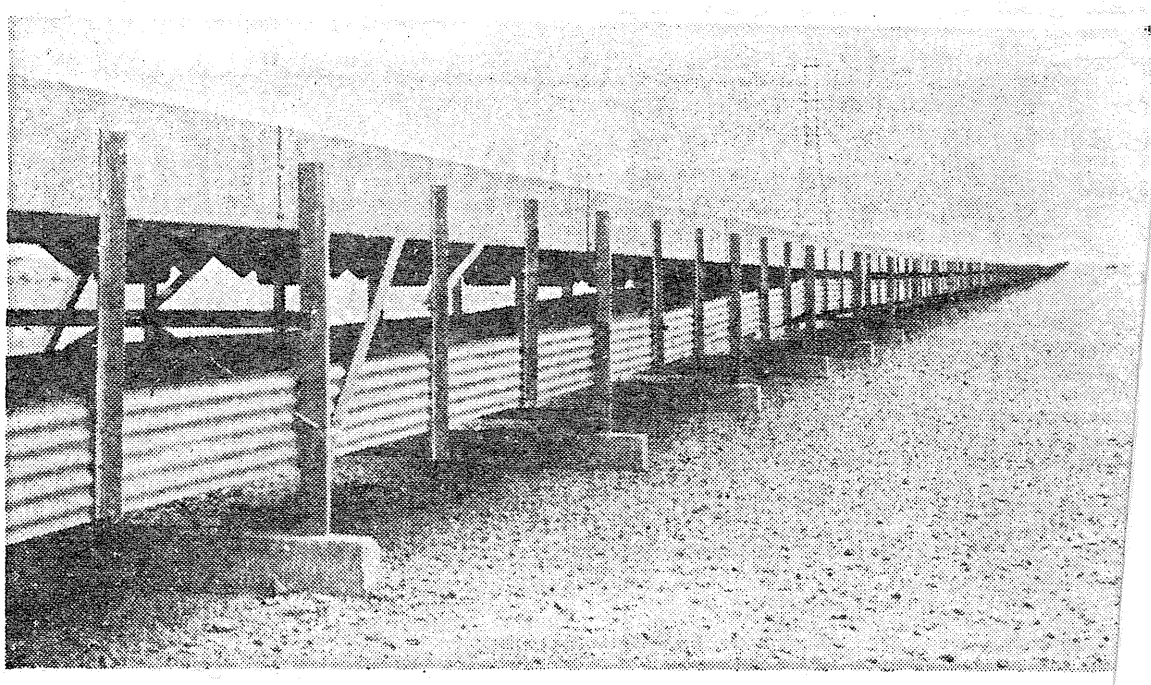

بسط في نقش فوسط

أو تسلم الأثمان، وفي هذا الظرف، تطالب السلطات الاسبانية بأداء ما عليه، وأمام عجزه المالي، يؤخذ منه المتجر، وتفرض عليه كل الوصايا والضغوط، كي يؤدي ما عليه، فيضطر للعودة الى البادية، فيبيع ما لديه من حيوانات اذا كانت، والا اشتغل لحساب الشركة.

التجارة وسيلة استغلال : يتجلى هذا الاستغلال في ظاهرتين أيضا :

- من المفروض على التاجر الا يستورد الا بضائع غربية معينة ومجلوبة من جزر كناريا. أي أنه بتحكم على التاجر أن يستورد البضائع التي تعاني من التكدس في الاسواق الغربية من آلات ودخان وثياب ومواد غذائية مستوردة من أمريكا واليابان التي تعاني من تضخم الانتاج.

- وتتجلى الظاهرة الثانية، في ظهور فئة من التجار الاحتكاريين، تتألف من تجار اسبانيين ومغاربة، وتستغل الطاقة الشرائية للسكان، وتتعامل مع السلطات الاستعمارية.

الصيد : يشكل الثروة الحقيقية والاصيلة في الساقية الحمراء ووادي الذهب، ولعل السواحل الصحراوية، من أغنى السواحل السمكية في المحيط الاطلسي بافريقيا.

وهذه الثروة، كانت السبب في محاولة الاستيلاء على المنطقة، منذ بداية عهد الاحتلال. فمنذ القرن السابع عشر، والمنطقة مسرح أحداث وتطاحن بين الدول الاستعمارية، وعلى رأسها البرتغال التي أنشأت محطة للصيد سمتها «ودان» كاب بوخاذور. وانكلترا التي سجن قائدها جورج أكلاس في باخرة «هيلزبورو» في سانتا اكروث دي كنريفي، من طرف السلطات الاسبانية. فتكونت شركة الكناريو الافريقية الممولة من طرف الشركة التجارية الاسبانية التي تهدف الى :

- استغلال الشواطئ السمكية.
- تبادل تجاري.
- حماية جزر الكناريا.

- يتبع -

حـــوار : من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي

على اثر تحريك قضية الصحراء سنة 1974 . ساهمت جريدتنا بسلسلة من المقالات بعنوان : «حوار من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي» . . وقد قيمنا آنذاك الوضع تقييما موضوعيا ... كما أبدينا رأينا في مختلف الأطروحات المعروضة في الساحة .. ثم نقاطا خمسة . تعتبر في تقديرنا الخطوط العريضة لبديل تقدمي ملموس في متناول كل القوى الوطنية في المغرب العربي . شريطة تجاوز المعالجة الجزئية . أو الرؤيا الوطنية الضيقة . وتعميما لموقفنا من قضية **الصحراء** ومساهمة منا في الحوار . جمعت المقالات المذكورة في كتيب صدر على شكل ملحق رقم (2) للجريدة .

ونظرا للتحرك الديبلوماسي والعسكري الذي تشاهده المنطقة من جديد . واستمرارا في متابعة الحوار . . . قررنا فتح هذا الركن من جريدتنا . نخصصه لكل الآراء التي من شأنها أن تساهم في بلورة البديل الحقيقي . وتفادي سقوط منطقة المغرب العربي في فخ الأمبريالية وحلفائها .

لذا يصبح من الايجابي . بل من الحتمي . على كل فصائل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي عامة . والمغرب العربي خاصة . المساهمة في نقاش مسؤول ومعمق يهدف بالأساس الى ارجاع الصورة على حقيقتها . من أجل بلورة بديل تقدمي نضالي بأبعاده التحررية والاشتراكية .

وقد نشرنا في العدد السابق الحلقة الثالثة من التقرير الذي كان قد سلمه المرحوم مصطفى الوالي . الكاتب العام السابق «للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب» لمناضلين اتحاديين في يناير 1973 . ونوالي في هذا العدد تقديم الحلقة الرابعة

وتتجلى الثروة السمكية ومدى أهميتها في الوسائل المتخذة لاستغلالها ، فلجأ الاستعمار الى اذكاء شعور الاشمئزاز في نفوس المواطنين من تعاطي الصيد البحري ، والاعتماد على الثروة المائية ، كأساس للغذاء . فنتج عن ذلك انقراض قبائل ، تعتمد على الصيد ، لأنها نفرت منه أو حصدت وأدخلت في اطار المستعمرين . . الا أن الوسائل التي يعتمد عليها السكان على كل حال عتيقة وغير كافية ، حتى ولو لسد الحاجة الاستهلاكية المحلية ، بينما يعتمد الاستعمار الاسباني على وسائل حديثة وامكانيات ضخمة لاستغلال الخيرات السمكية الهائلة .

فتستعمل هذه الوسائل على طول 500 كلم لاستخراج كل أنواع السمك ، وتبلغ قمة التناقض ، حينما نعلم أن بروتينات السمك الصحراوي تغذي مصانع كناريا ، بينما نجد أن أصحاب هذه الخيرات الشرعيين يعانون من الجوع وسوء التغذية الشيئ الكثير . وفي اطار عملية النهب والاستنزاف التي تنهجها اسبانيا ، كونت اسطولا بحريا في سنة 1960 ، يتكون من 500 قارب بحري . وقد تضاعف هذا العدد المشترى خلال الستينات ، فمثلا في 1959 ، استخرج من السمك 5917 طن ، قدرت قيمتها بـ 7 521 000 بسيطة . وفي سنة 1960 ، استخرج منه 15 227 طن قدرت قيمتها بـ 32 100 000 بسيطة . وقد صدر عن جريدة «اريبا» الاسبانية أن الثروة السمكية في الصحراء ذات أهمية قصوى بالنسبة للاقتصاد الاسباني ، والهدف من وراء هذا ، هو الاستغلال المجمل والسريع للثروة السمكية في أرضنا . ولا تتوانى اسبانيا في التعامل مع حليفاتها الغربيات ، لاستنزاف هذا الكنز السمكي ، حيث سمحت للبواخر اليابانية والفرنسية والكورية الجنوبية والهولاندية واليونانية والدانيماركية بحرية الصيد على السواحل الصحراوية ، فأصبحت هذه الثروة السمكية مهددة بالانقراض . وقد أصبحت المنطقة تشكل ملجأ لأسماك المحيط الأطلسي ، فأصبحت تهاجر اليها نتيجة توافر الأعشاب ، ثم رياح المحيط الجديدة في السنوات الأخيرة ، وقد كادت وضعية السردين في المغرب تتهاوى بعد هجرة السردين اليها ، لولا الاتفاقية الجديدة في سنة 1971 بين المغرب واسبانيا لتكوين شركة مشتركة لصيد السردين .

المعادن

يستخلص من النتائج التي أدلى بها المعهد الوطني الاسباني للأبحاث الجيولوجية «أن باطن الأرض في الصحراء ، يحتوي على امكانيات معدنية هائلة من حديد ، وفوسفاط وبترول وأورانيوم . .»

1 ـ الحديد : أما فيما يخص الحديد ، فقد اكتشفت الأبحاث الاستعمارية منه ، منجما بناحية « أزميلة أغراشة » ، واحتياطه يفوق 70 مليون طن ، ومحتواه من (OXYDE DE TITANE) يبلغ 13,6 % ، وهو محتوى مرتفع جدا ، الشيء الذي يمهد لاستعماله مباشرة في الأفران العالية ، وقد أرسلت منه 300 ألف طن في البداية للتجربة ، وشرع في استغلاله وتصديره خاما الى كناريا واسبانيا .

2 ـ الفوسفاط : أعلن عن اكتشاف الفوسفاط في 1963 من طرف الدوائر الرسمية ، وأكد المعهد الرسمي للمعاهد الجيولوجية في نتائجه ، أن 1 200 كلم2 كلها أراضي فوسفاطية ، ومعروف أنه شرع في استغلال المنجم المسمى بوادي بوكراع ، والذي احتياطاته تصل الى 1,7 مليار و 700 مليون طن ، والذي يبعد بـ 110 كلم عن ميناء العيون . وتبلغ جودته حوالي 85 % ، وقد استدعت L.ENMENSA الشركات الغربية لتتحمل معها التكاليف ، فاستدعت تيكساكو والگولف أويل أوف كالبفورنيا . ثم استؤنفت المحادثات من جديد بين INTERNATIONAL MINERALS CHEMICALS CORPORATION و INSTUTO NATIONAL DE INDISTRIA ESPANOL فتعهدت الشركة الأمريكية ب 25٪ من المشروع الذي بلغت تكاليفه 185 مليون دولار . وتعد هذه الشركة الأميريكية من أكبر الشركات الكيمياوية الاحتكارية في العالم الغربي . وقد جلب هذا الفوسفاط الرأسمال الأجنبي ، فكان موضوع أطماع الشركات الغربية الاحتكارية التي تركز الأمبريالية العالمية المقادة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تهدف الى الاستغلال البشع ، والاستنزاف السريع لهذه المنطقة وثرواتها . وهنا نلمس المقصد عند الامبريالية من تسمية الصحراء بكويت الفوسفاط . وقد تحملت التكاليف شركات غربية أخرى ، وخصوصا الأبناك الاحتكارية التي تكون جسرا للتغلغل الاستعماري في الصحراء . وهكذا تستولي أوروبا الغربية بواسطة بنوكها على سوق الفوسفاط . وفي سنة 1969 ، غشت ، أسست شركة «فوس بوكراع» ، وشرع في استغلال الفوسفاط منذ بداية 1972 وتتألف الشركات الممولة من الناحية المالية من الشركات الأمريكية ب 25 ٪ ، والمعهد الوطني الاسباني للدراسات الجيولوجية بـ 55 % ، وبنك باريس والدول المنخفضة ، وهو ما يشكل الى جانب ليوني وبنك روتشليد ما يسمى بكريدي ليوني ، وهو الذي كمل 20٪ الباقية . وهذا جزء من حل المشكلين الذي خلقهما اكتشاف الفوسفاط للدوائر الاستعمارية الرسمية الاسبانية الناتجتين عن الفقر والجهل الاسبانيين ـ أو الوراثية في التخلف ـ :

ـ مشكل الميناء لنقل الفوسفاط الى اسبانيا والسوق .

ـ مشكل الطاقة الكهربائية .

وفيما يخص الميناء ، فقد تكلفت ببنائه شركة UNION TEMPORALE وهي المكونة من رأسمال فرنسي ألماني ، فبنت الميناء بأحدث أسلوب للسرقة والاستنزاف السريع ، ويبلغ طوله 3ر4 كلم داخل البحر ، وبامكانه أن يستقبل البواخر التي تبلغ حمولتها 100 ألف طن ، وتوسق بأنابيب تجذب الفوسفاط من المحل المعد له على حافة الشاطيء بقوة جاذبة هوائية ، ويمكنه استقبال أربع سفن في وقت واحد .

وفيما يخص الطاقة فقد أسندت كل المشاكل المتعلقة بها الى شركة التروست الالماني كروب ، التي ترتفع استثمارتها في الصحراء الى ملايين الدولارات ، والتي كانت المحرك الخفي للعمليات الاستعمارية البرتغالية ، فأمدت القوات الفاشية البرتغالية بملايين الماركات ، ولا نمر من هنا قبل القول ، بان هيرمان جوزيف أبهر ، الناطقة باسم الشريكة ، يولي اهتماما خاصا لمناجم الاورانيوم في الصحراء ، وقد سلمت شريكة كروب الى الجيش البرتغالي أحدث الاسلحة الاوتوماتيكية ، واستثمرت رؤوس أموالها في سد أنكولا ، وفي معادن الموزامبيق وغينيا بيساو ، اذ استحوذ «الفريد كروب فون بوهلن» على «منيرياديي لوبيتو» البرتغالية التي تمنحه استغلال كاسنكا بأنكولا . فبلغت الاستثمارات كروب 500 مليون مارك ، لتستخرج 290 مليون طن من الحديد . وتحاول كروب انشاء امبراطورية في افريقيا ،

◄◄

مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء - 4 -

تشكل الصحراء احدى حلقاتها . فقد تكلفت شركة كروب ببناء حلقة أوتوماتيكية ، تمتد من وادي بوكراع إلى ميناء العيون . ويبلغ طولها حوالي 100 كلم ، وتعد من أحدث وسائل الاستغلال ، وستبتدىء بنقل 10 مليون طنا سنويا على الاقل ، ترفعها الى 15 مليون طنا . وقد لاقت شركة كروب ، كحليفاتها الغربيات ، عطف وتشجيع الحكومة الفاشستية الإسبانية ، وقد ابتدأ الطابي رولن tapis roulant في العمل في نهاية شهر اكتوبر سنة 1971 .

عواقب إكتشاف الفسفاط

1 ـ الأثمان : هناك تأثيرات على الثمن الدولي للفوسفاط . يصل ثمن الفوسفاط الامريكي 11,5 دولارات في ميناء روتردام ، بينما يصل ثمن فوسفاط المغرب 11,75 دولارا في ميناء الدار البيضاء ، وهو من نفس النوع . والفوسفاط الصحراوي من درجة أعلى ، ومع ذلك ، فهو أقرب من سطح الارض ، وأقرب من البحر . كما ان اليد العاملة فيه صحراوية متخفضة الاجور ومهضومة الحق ، اذ انها بلا ضمان اجتماعي ولا مراقبة صحية ، ولا تنظيم سياسي ، وتشغل أغلب الوقت اي حوالي 12 ساعة . كما ان الاعتماد في استخراج الفوسفاط وحمله للآلات الاتوماتيكية ، وهذه الوضعية ستزعزع سوق الفوسفاط ، ان لم تدخل الدول المنتجة له في تحالف مع الاستعمار الفاشستي الاسباني وأعوانه الامبرياليين على حساب الصحراويين . وربما ان هذا طبق بالنسبة لبعض الدول المنتجة له .

2 ـ ظهور طبقة عمالية : قد يكون لها الدور الحاسم في حمل مشعل التحرر ، نظرا لهضم حقوقها من طرف الاستعمار الاسباني والامبريالية الغربية ، الظاهر في عدم اعطاء تكوين تقني ، ثم في بشاعة الفرق بين أجر العامل الاسباني المرتزق ، والعامل الصحراوي ، وفي استنزاف الطاقة الانتاجية للصحراوي المتجلية في ساعات العمل التي قد تصل الى 12 ، 13 ، 14 ساعة في اليوم . ثم دورية أعمال العمال الصحراويين ، كي يربط الاستعمار أكبر قدر من السكان بعجلته . ثم كذلك لئلا يشعر العامل بوعي وطني ، ثم كذلك لقطف قدرة مستجدة على العمل . كما ان اسبانيا الان تقضي على مستقبل الشبان ، وتحد من فعاليتهم الفكرية ، وحتى العضلية ، لتنزعهم من المدارس وتوجيههم رغم حداثة سنهم لتشغيلهم أكبر قدر ممكن في المنجم ، وتخفيض أجورهم . وعلى العموم ، فالعمال في هذا المنجم قسمين :

ـ العزاب : أصبحوا يشكلون امتدادا استهلاكيا للسوق الامبريالية التكنولوجية ومفصولين عن المجتمع ، اذ انها بنت لهم سكنا خاصا ، ثم تأتيهم بالاسبانيات والسينما وكل المتطلبات الاستنزافية في تلك السكنى ، ويقضون عطلهم في الجزر الكنارية .

ـ المتزوجون : مشاكلهم عديدة ، من تمييز عنصري الى مشاكل السكنى الضيقة الغالية الكراء ، وعدم كفاءات الاجور للحصول على الضروريات ، وعدم العناية الصحية ، وعدم تدريس الاطفال في الغالب ، وتراكم الفقراء العاطلين والقادمين من البادية .

البترول : كان مشروع التنقيب عن البترول في المناطق ، بعد انتهاء أحداث 1958 لسببين :

1 ـ بعد انتهاء حوادث 1958 .

2 ـ أمام الترخيص للشركة الايطالية من طرف الحكومة المغربية في الجزء المحرر (اقليم طرفاية) . ظهر لمدريد ان هناك امكانيات بترولية هائلة .

وهكذا نرى ، ان اسبانيا تنهج نهجا ليبراليا ، ولاول مرة ، اذ سمحت بدخول الرأسمال الاجنبي للاراضي المحتلة . ولهذا سنت قوانين 29 ـ 31 ديسمبر 1958 ، التي أعلن عنها الجنرال العجوز فرانكو ، والتي بمقتضاها يستغرق مدة التنقيب 6 سنين تجدد بثلاث سنوات .. ورخصة التنقيب هذه ، تعطي لصاحبها حق الاستغلال وبكامل الحرية لما اكتشفه مدة 50 سنة مجددة ، والدولة الاسبانية لا ترغب بالمساهمة في الارباح الا بما قدره 12,1٪ من البترول الخام ، وما يعادلها من الوقود المباع .

أمام هذه التسهيلات ، هرعت الشركات الغربية ، التي تشكل الكارتيل الدولي للبترول ، فسلمت لها رخصة التنقيب على مساحة 400ألف كلم2 . ولقد سلمت لـ union carped petrolium corporation مساحة مائية ، تقدر بـ 000 600 1 هكتار بحرية ، وتقدر التكاليف بـ 170 مليون دولار ، وقد اكتشفت C.C.C. البترول في ناحية أوديات أميريكية في نهاية 1970 ، الا ان اسبانيا تزعم ان استغلال هذه الآبار صعب ، ومن المبررات ، لاكتشاف كميات هائلة من البترول ، هو تصريح وزير السياحة لحكومة الفاشستيين الاسبانيين عام 1968 ، عندما دشن قصر السياحة للصحراء في العيون ، اذ قال :« ان الصحراء لا تحتاج الى قصور لجلب السياح اليها ، لان فوسفاطها الكثير الجيد ، وبترولها القريب من سطح الارض ، ومعادينها الاخرى تكفيها مما سينفق السياح في أرضها» .

وقد اكتشفت كميات هائلة ايضا ، في الظروف الاخيرة ، سواء في «أفيم الواد» غرب العيون ، او في غيره . ومن أسباب السماح للشركات الاجنبية باستثمار رؤوس أموالها في منطقة الصحراء المستعمرة ، نجد :

1 ـ التخلف التكنولوجي الاسباني .

2 ـ ارتفاع التكاليف الناتجة عن الاستغلال ، الشيء الذي يفرض على اسبانيا التحالف مع الامبريالية الغربية لتحمل التكاليف .

3 ـ ويدخل هذا كله في اطار استراتيجية معينة للامبريالية العالمية ، بقيادة امريكا ، تهدف من ورائها الى استغلال سريع واستنزاف لخيرات العالم الثالث .. فاذا ما هددت مصالح اسبانيا ، كانت الامبريالية كلها متكاثفة الى جانبها ، لان مصالحها كلها مهددة .

4 ـ وبدأ تعزيز التمركز السياسي الاستراتيجي الاسباني في المنطقة ، بحيث يصبح من السهل عليها ، ضرب كل حركة تحررية ، من شأنها ان تقلق راحتها ، ومصالح حليفاتها الغربيات ، وضرب ما تسميه بأطماع الجيران .

ـ يتبع ـ

نقطة

مذكرة مصطفى الوالي

أثارت هذه المذكرة التي ننشرها في حلقات ، ردود فعل جريدة وطنية مما يقتضي شيئا من التوضيح لرفع كل التباس .

ان مصدر هذه الوثيقة ليس سرا بالنسبة الينا . فالكل يعلم أن مصطفى الوالي كان ضمن مجموعة الأطفال الصحراويين الذين تولى جيش التحرير السهر على تربيتهم وتدريسهم ، وهذا ما تم بالفعل في مدرسة تارودانت . وبعد انهاء دراسته الابتدائية ثم الثانوية ، التحق مصطفى الوالي بالجامعة حيث عرف بنشاطه الطلابي ونضاله لصالح تحرير المناطق المحتلة بتنسيق مع المناضلين الصحراويين داخل هذه المناطق وعلى رأسهم محمد بصير . الا ان القمع الذي تعرضوا له خاصة على اثر المظاهرة الناجحة التي نظموها بمدينة العيون ، والتواطؤ المكشوف بين النظام الاسباني ـ الذي عمل على قمع هذه المبادرة قمعا وحشيا باطلاق الرصاص على المتظاهرين واعتقال المئات منهم وأغلبهم لا يزال مصيره مجهولا ـ والنظام المغربي الذي تولى مطاردة المناضلين الذين التجأوا الى الجنوب حيث تم اعتقالهم وتعذيبهم على يد البوليس المغربي ... على اثر كل هذا لجأ بعض المناضلين الى الخارج لمحاولة التعريف بالقضية ودعمها .

وفي هذا الاطار التقى مصطفى الوالي بفرع الجزائر للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بتوصية من المسؤولين في الداخل ، وتمت دراسة اجراءات العمل المشترك من أجل تحرير المناطق المغربية المحتلة . وفي هذا الاطار بالضبط تم تسليم المذكرة المعنية .

الا أن تطور الأحداث وتزايد القمع المنسق ما بين النظامين المغربي والاسباني من جهة ، وانطلاق «الحملة الديبلوماسية» من جهة ثانية ، قد جعلت الوالي ورفاقه يعدلون عن التنسيق مع الأحزاب الوطنية ويدافعون عن المواقف التي عرفت بها «جبهة البوليساريو» . ومنذ ذلك الحين انقطعت كل صلة تنظيمية بينهم وبين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية .

استعرضنا كل هذه التفاصيل لنقول :

اذا كانت مواقفنا الخاصة قد تم نشرها وتأكيدها في عدة مناسبات ، فان المذكرة التي نكشف عنها لقرائنا نعتبرها وثيقة تاريخية ترسم تصورات المناضلين الصحراويين وهم ينطلقون آنذاك من العمل من أجل تحرير المناطق المحتلة . ومن ثم أهميتها في اطار الحوار الذي نسعى الى تدعيمه بين كل القوات الوطنية والتقدمية وضد الأمبريالية وعملائها ، وذلك بعيدا كل البعد عن أي نية في المزايدة حول انتماءات مصطفى الوالي الحزبية ...

حـــوار : من أجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي

على اثر تحريك قضية الصحراء سنة 19774 . ساهمت جريدتنا بسلسلة من المقالات بعنوان : «حوار من اجل ايجاد بديل تقدمي للوضع الراهن في المغرب العربي» .. وقد قيمنا آنذاك الوضع تقييما موضوعيا .. كما أبدينا رأينا في مختلف الاطروحات المعروضة في الساحة .. ثم نقاطا خمسة تعتبر في تلاقديرنا الخطوط العريضة لبديل تقدمي ملموس في متناول كل القوى الوطنية في المغرب العربي . شريطة تجاوز المعالجة الجزئية او الرؤيا الوطنية الضيقد . وتعميما لموقفنا من قضية الصحراء ومساهمة منا في الحوار . جمعت المقالات المذكورة في كتيب صدر على شكل ملحق رقم (2) للجريدة .

ونظرا للتحرك الديبلوماسي والعسكري الذي تشاهده المنطقة من جديد . واستمرارا في متابعة الحوار ... قررنا فتح هذا الركن من جريدتنا . نخصصه لكل الآراء التي من شأنها أن تساهم في بلورة البديل الحقيقي . وتفادي سقوط المغرب العربي في فخ الامبريالية وحلفائها .

لذا يصبح من الايجابي . بل من الحتمي . على كل فصائل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي عامة . والمغرب العربي خاصة . المساهمة في نقاش مسؤول ومعمق يهدف بالأساس الى ارجاع الصورة على حقيقتها . من أجل بلورة بديل تقدمي نضالي بأبعاده التحررية والاشتراكية .

وقد نشرنا في العدد السابق الحلقة الخامسة من التقرير الذي كان سلمه المرحوم مصطفى الوالي . الكاتب العام السابق «للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب» لمناضلين اتحاديين في يناير 1973 . وننشر في هذا العدد الحلقة الخامسة .

البعد السياسي للمنطقة

اذا كانت الرأسمالية الجشعة الباحثة عن أكبر قدر ممكن من الأرباح . وهضم كل الحقوق الانسانية وتقديمها ذبيحة الفعالية الانتاجية قد تحولت من استعمار مباشر الى استعمار غير مباشر . وهو منطق القرن العشرين . فان هناك الى جانب منطق القرن السادس والسابع عشر المتمثل في الاستعمار السافر . أي المباشر وبصورة وقحة تتحدى الارادة الدولية والأخلاق والمنطق الانسانيين . ومن جملة المناطق التي لا يزال هذا المنطق الدنيء الجبان سائدا فيها منطقة الصحراء (الساقية الحمراء ووادي الذهب) كنتيجة لظروف خاصة :

ما قبل قرار لجنة تصفية الاستعمار : 16 اكتوبر 1964

من المعروف أن المواطنين الصحراويين قد خاضوا سلسلة من النضالات ضد الاستعمار الدخيل في شمال افريقيا عبر مراحل تغلغل الامبريالية في هذه المناطق . بطرق ونتائج تتعاظم تارة وتتناقص لتخبو نتائجها تارة أخرى . واننا لنأمل أن نتعرض لهذه الفترات من تاريخينا في مرات أخرى وفي أمكنة غير هذه . وتلخيصا للنضالات في هذا الباب نقتصر على القول أن جماهيرنا ساهمت بصورة فعالة في جيش التحرير المغربي . وحتى استقل المغرب . وحل جيش التحرير وأدمج في الجيش النظامي . ثم شارك السكان بصورة أقل في جبهة تحرير الجزائر . الشيء الذي أجهض حركة النضال في داخل المنطقة المعنية . ولم ينلها ما نال المناطق المجاورة . وعلى كل حال بقيت في عزلة دون أي بعد سياسي واضح ... مع العلم أن الامبريالية كانت تخطط لها كمنطقة المستقبل الاقتصادية والاستراتيجية الحساسة . ولعل السبب في ذلك . أي في عدم طرحها كقضية خاصة في وقت حروب التحرير المغربي - الكبير - هو عدم اكتساء الحركات آنذاك صبغة اقليمية . ثم ان شعارها العالمي آنذاك «الجهاد في سبيل الله» لا يترك مجالا للتجزئة .

قرار 16 اكتوبر 1964 :

«بعد سماع اللجنة للعرض الذي تقدمت به الدولة الحاكمة . وبناء على ما لاحظناه من قلق شديد على أن الحكومة الاسبانية . بوصفها دولة حاكمة لم تطبق بعد مقتضيات التصريح 14 - 12 - 1962 الخاص بتصفية الاستعمار في هذه الأراضي :

1 - تبدي أسفها للتأخير الذي تلحقه الدولة الحاكمة في تطبيق مقتضيات التصريح الذي تتضمنه التوصية رقم 1514 الصادر عن الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة . وكذا تحرير هذه الأراضي من السيطرة الاسبانية - التوصية رقم 1514 خاصة بتصفية الاستعمار -

2 - نرجو بالحاح من الحكومة الاسبانية أن تتخذ على الفور الاجراءات اللازمة لتطبيق مقتضيات التصريح الخاص بمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة على الفور وبدون قيد ولا شرط .

3 - نلتمس من الأمين العام أن يبلغ نص هذا القرار الى الدولة الحاكمة . وأن يقدم الى الجمعية العامة خلال دورتها 19 تقريرا عن الاجراءات من أجل أن تطبق وبدون قيد ولا شرط مقتضيات التصريح» .

وكنتيجة لنشاطات الدول المجاورة الديبلوماسية . وخصوصا المغرب . جاء قرار دورة الجمعية العامة 1965 بما ياتي :

1 - تصادق على مقتضيات القرار الذي يتعلق بايفني والصحراء الاسبانية . ذلك القرار الذي اتخذته بتاريخ 16 أكتوبر 1964 اللجنة الخاصة المكلفة بدراسة الحالة التي آل اليها تطبيق التصريح الخاص بمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة .

2 - ترجو بالحاح من الحكومة الاسبانية . بوصفها دولة حاكمة . أن تتخذ على الفور الاجر اءات اللازمة بتحرير الصحراء وايفني من السيطرة الاستعمارية . ثم تدخل من أجل هذا الغرض في مفاوضات حول قضايا السيادة التي تطرحها هذه الأراضي .

3 - تدعو اللجنة الخاصة الى اعداد تقرير حول الخطوات التي سيقطعها هذا القرار وذلك خلال الدورة الـ 21 للجمعية .

4 - تلتمس من الامين العام ان يبلغ الدولة الحاكمة هذا القرار ... وصادقت على هذا القرار 12 دولة عربية وافريقية) .

ونتج عن ذلك المحادثات الكلامية العديمة المفعول . والتي لم تستطع أن توقف الاعمال الاجرامية والخطط الاستعمارية الفاشيستية التي تقوم بها اسبانيا ضد الجماهير البريئة في المنطقة . كذلك لم يتولد عن هذا القرار تحمل مسؤولية في مد يد المعونة للجماهير كي تأخذ الطريق الصحيح والأوحد . وهو حمل السلاح ضد الاستعمار والأمبريالية . بل نرى الاسطوانة تتكرر في الدورة الثانية . وان كانت بابرة جديدة . وهذا هو المندوب المغربي ليقول أمام هيأة لجنة الأمم المتحدة المكلفة بتصفية الاستعمار في دورتها المنعقدة في أديس أبابا في 7 / 6 / 66 :

«واذا كانت الحكومة الاسبانية قد قبلت أن تعمل في نطاق الامم المتحدة . حيث وعدت بمساعدة هذه الاقاليم لممارسة تقرير مصيرها . فان الواجب يفرض علينا أن نخبر هذه الجمعية الموقرة بما تقوم به حكومة مدريد من سياسة توطينية والحاق المنطقة بها دستوريا واداريا» .

واقعيا ان سياسة التوطين الامبريالية صدمت العمال والمواطنين الصحراويين بمزاحمتهم في سوق العمل الى جانب وضع أكثرية اسبانية للضغط على السكان الشرعيين .

ومرة أخرى ينادي وزير المغرب بما يلي :

«ان حكومتي التي تريد الاستقلال العاجل لهذه الأقاليم . لا ترفض مبدأ تقرير المصير . الا أنها تحرص على أن يحاط هذا المبدأ بكل الضمانات الكفيلة بجعل السكان في تلك الأقاليم يعبرون عن رأيهم تعبيرا حقيقيا مطابقا لمصالحهم الحقيقية ...»

وهنا أشار الى أن ذلك يتم بـ :

- سحب جميع القواعد العسكرية .
- الاحتفاظ بالقدر اللازم لحفظ الامن .
- سحب الادارة الاسبانية من الاقاليم .
- عودة اللاجئين الى أقاليمهم .

ويضيف : «واذا ما تحققت هذه الشروط اذاك

مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء - 5 -

يمكن تنظيم استفتاء». وكان المندوب التونسي قد طالب بالتعجيل بهذا الاستفتاء. وأيد المشروع المندوب المغربي والجزائري والموريتاني وعارضه الاسباني. وصوتت عليه 19 دولة. وأمسكت 3 عن التصويت.

ومهما يكن من شيء. فبعد القرار مباشرة أصبحت الدولة المحتلة الفاشيستية تعمل كل ما من شأنه أن يضمن لها البقاء في المنطقة واستنزاف خيراتها لتفذيها عليها اقتصاديا واعتمادها مصيريا عليها. وكان من هذه الاعمال تهجير السكان الى المناطق المجاورة. وجلب المرتزقين الاسبانيين. والقضاء على السمات العربية بمحاصرة الأفكار العربية. وعزل الفئات التقليدية أي ذات الشخصية العربية المحتواة وسط التقاليد والأخلاق والأفكار الاسلامية. وحاولت خلق جيل متأسبن. وذلك بفتحها للمدارس الابتدائية ذات المحتوى التبعي العدمي التقديسي. كما كثفت كميات الجنود في المنطقة لا من حيث العدد فقط. بل من حيث العدة والتنويع. ثم ربطت كذلك نفسها بالدول الامبريالية لعجزها التقني الحالي عن مواجهة متطلبات الثروات المتدفقة والمتنوعة. ثم لعجزها عسكريا كذلك عن مواجهة موجات السخط المحلية التي خلقها الضغط والقمع والتمزيق. ثم الدولي عموما والافريقي خصوصا الذي ولده الفكر التحرري الذي يعادي الأمبريالية والاستعمار بوصفها أبشع تعبير عن وحشية الانسان التي فرضتها عليه الآلة ومطامعها. وفعلا دخلت في هذا الطريق مباشرة بعد اتخاذ هذا القرار الدولي الغير محض. وكانت أولى نتائج نشاطها التوسعي العلني اتفاقية 1969 المتعلقة بتمديد بقاء القواعد الامريكية الامبريالية في اسبانيا والتي كان من نصوصها نقل القاعدة المطرودة من القطر الليبي الشقيق ويلز الى الداخلة. وتوظيف رؤوس الاموال الامريكية في المنطقة ثم وضع تقنية خاصة داخل قاعدة الداخلة لمحاربة حرب العصابات التي ستنصب فيها حركة الجماهير الساخطة على الاحتلال والسيطرة السياسية والفكرية والاقتصادية والمستنزفة للشرف والكرامة والثروة. ثم اتفاقية 1970 مع فرنسا التي كان من نتائجها اتفاقية الدفاع المشترك واستثمار رؤوس الأموال الفرنسية بل وجعل بنك باريس كمعبر تمر عليه رؤوس الأموال الغربية الى خيرات المنطقة لجلب الأرباح وتسليم 50 طائرة ميراج فرنسية للجيش الاسباني النازي. وأخيرا ربط اسبانيا بأصلها الذي كانت موضوعة وسطه دون أن تقوم فيه بأي دور. ذلك هو الأمبريالية الغربية. وأصبحت بذلك اسبانيا حائزة لثقة الامبريالية الغربية. فأصبحت عمليا من شخصيات الحلف الاطلسي اللعين وذلك بعد دمجه كاملا في مناجم وطننا سواء في الفوسفاط أو البيترول او في غيرهما. ولم تلبث أن توصلت نتيجة لما سبق الى اتفاق مع المانيا الغربية في فبراير 1972 وفي الوقت الذي كانت فيه اسبانيا تربط نفسها تربط نفسها بالامبريالية الغربية كمرتكز دائم. كانت تربط نفسها باتفاقيات ثنائية مع الاطراف المعنية. وبداية بالمغرب ابتداء من سنة 1963 في لقاء برخاص الذي أنتج ما يسمى بـ .

وباتفاقيات أخرى عديدة ومتنوعة كاتفاقية الصيد المشترك - هذه الاتفاقية كانت مثار نقد عنيف مما أدى الى التراجع عنها - والمساعدة التقنية والمساهمة في التصاميم الخماسية ثم المحافظة على أمن البحر المتوسط. ثم اتفاقية تسليم المجرمين !... ثم أخيرا اتفاقية نتجت عنها شركة للصيد مشتركة. كحل لمشاكل شركات صيد السردين المغربية. تلك المشاكل التي نجمت عن هجرة السردين خصوصا الى المنطقة. وكانت أيضا اسبانيا الفاشيستية تحاول ابرام التفاقيات اقتصادية مع الجزائر. وفعلا توصلت الى ذلك ابتداء من سنة 1966 نظريا. والتي ابتدئ في تطبيقها ابتداء من سنة 1969. وكانت هذه الاتفاقيات تدور في جلها حول تسويق الغاز الى اسبانيا واتفاقية أنابيب الغاز الطبيعي لتسويقه الى أوربا وامريكا. ثم شراء البترول الجزائري. كذلك كانت اسبانيا اللعينة أيضا تبرم اتفاقيات مع موريتانيا انتهت سنة 1970 بتكوين أسطول بحري للصيد المشترك ممول بأموال اسبانية زيادة على المساعدة المادية. خصوصا في مجال تكوين البوليس الموريطاني دول المحور تتخذ من وضعية الصحراء أساسا لكل المشاكل الثانوية :

هكذا اذن تطورت قضية الصحراء وأصبحت منطقة السخونة بالنسبة لهذا الجزء على الاقل من العالم : اي شمال افريقيا. ان لم تكن افريقيا كلها. ثم تبلورت فكرة تقرير المصير كطريق وحيد لتحرير الصحراء من براثن الاستعمار وأطماع الامبريالية. ولكنها في محتوى ساذج أيضا.

ونتيجة لتنبؤ موريتانيا بنتائج تقرير المصير والتي تريدها في صالح التبعية. كانت تسير في منطق هذا الاتجاه. وكانت الجزائر لا تمانع كثيرا في هذه الفكرة. ولما طرحت المشكلة من جديد في الجلسة العمومية لسنة 1966 في جلستها 22 كونت موريتانيا وفدا عنها من السكان الموريتانيين ذوي الأصل الصحراوي للمطالبة بالمنطقة كجزء من موريتانيا. كما كونت اسبانيا الفاشية وفدا من العملاء والمستشرقين الاسبانيين لتأييد التبعية لاسبانيا. وبقاء المنطقة ناقة حلوبا لاسبانيا. ثم بضاعة رائجة تعرضها في سوق الامبريالية كي تحتل اسبانيا المحتلة بنظامها العسكري المتوحش المركز اللائق بها في المجتمع الامبريالي المنحرف. كما أرسل المغرب بعض الصحراويين في وفد سمي بجبهة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب. وطالب بتقرير المصير. وانضم رئيس الوفد الموريتاني الى الجبهة. لأن خطها في نظره صحيحا. وهكذا استطاع تشويه مفهوم تقرير المصير أن يعطي لاسبانيا امكانية الدخول كمنافس في نفس الطريق. وعلى كل حال. بعد رجوع الجبهة الى المغرب. لم تقم بأي دور مناهض للاستعمار في المجال العملي. اي في مجال تسليح الجماهير الشعبية. ووضعها في الاطار الكفيل بتمكينها من تقرير مصيرها تقريرا حقيقيا. وذلك لانها لم تتوصل الى الوسائل الكفيلة بذلك. كما أنها لم تسلك للحصول عليها أكثر من طريق واحد. وعندما سد. رجع أعضاؤها الى وظائفهم. هذا مع العلم أن الملك المغربي الحسن الثاني قد قال في خطاب العرش لسنة 1967 : «ان العبء الاول في تحرير الصحراء يقع على الصحراويين. وانني وشعبي مستعدان للمساعدة الفعلية». ويظهر أن الجبهة وصلت الى الهدف الذي أنشئت من أجله سنة 1969. وهي السنة التي جمدت فيها نهائيا.

الأطراف المعنية

توقفت العمليات البطولية النضالية المناهضة للاستعمار. والمنظمة كذلك منذ حل جيش التحرير. كما أشرنا سا بقا. وبقي السكان ينتظرون تحقيق الشعار الذي نظموا في اطاره وهو الجهاد في سبيل الله حتى لا يبقى النصراني مسيطرا على المسلم. لذلك فقد توجهت أنظارهم الى الخارج من المرة الأولى تحت هذه الشعارات لان القيادة كانت من داخل المغرب. ومن طبيعة الحال كان هناك غموض في المفاهيم. لم يترك للمواطنين امكانية تحويل أنظارهم عن الخارج. كما أنهم وسعوا مفهومه. ومن طبيعة الحال كانت الجبهة وتقرير المصير بصيصا جديدا. ولكن لم يكد يعتنى به حتى يصبح مشعلا يهدي الجماهير. بل كان كل شيء بصيصا فقط وبقيت الجماهير وكأن هذا كله لا يعنيها وهذا صحيح. ولكنها أجضعت في تفسيره اذ أصبحت تعتبر حتى نتائجه لا تعنيها. ومن طبيعة الحال في هذه سلبيات لها نتائجها الوخيمة التي لم تزل الجماهير تعاني منها وهي التلقائية التي أصبحت الجماهير تتسم بها.

مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء

الحلقة الأخيرة

المغرب والجزائر :

ابتدأ النزاع بين المغرب والجزائر بعد الاستقلال الجزائري مباشرة . وكانت من مظاهر هذا الخلاف . هو حرب الحدود وأحداث سنة 1963 . وبدأ التقارب من سنوات 1968 فيما بعد . وخصوصا سنة 1969 . وذلك بعد جهود طويلة في هذا المجال . ثم ان المؤتمر الاسلامي المنعقد في الرباط سنة 1969 الذي تبعه الاعتراف موريطانيا وبعد الاعتراف بنظام موريتانيا . والتمثيل الدبلوماسي . وزيارات الوفود . تم اللقاء في مؤتمر نواذيبو 1970 . والذي أشيع أنه يهدف الى تقسيم المنطقة . وتشكيل جبهة ثلاثية موحدة على هذا الاساس ضد الاحتلال الاسباني . وكانت خطة التقسيم التي أشيعت عن المؤتمر . تعطي الساقية الحمراء . وهي منطقة الفوسفات . للمغرب لكي يطمئن على مستقبل اقتصاده باعتباره يعتمد على الفوسفاط . ثم اعطاء وادي الذهب لموريتانيا . لانه منطقة للحديد (كويرة . أغرشة) . واعطاء ممر للجزائر للتنفس على المحيط الأطلسي . ولكن المؤتمر سواء كان يهدف هذا أو غيره لم يتوصل الى نتيجة تذكر . ولا ندري ما هي الأسباب . وعلى كل حال . ما دمنا الذي يهمنا هو العلاقة الثنائية الجديدة بين المغرب والجزائر . فان البلدين توصلا الى ابرام اتفاقيات اقتصادية وثقافية وتقنية . وأخيرا أصبحا معا يقومان بدور في اطار المغرب العربي . ثم كانت سنة 1972 . وفرصة انعقاد المؤتمر الافريقي في الرباط . وشعار المصالحة الذي انعقد تحته . لابرام اتفاقيات الحدود بين البلدين كتتويج لتلك الاتفاقيات . ومشروع استغلال الجبيلات المشتركة عبر سكة حديد تمر بمحاذاة المنطقة المستثمرة التي لا ندري هل تكون حارسته أم هو حارسها ؟

وعلى كل حال فقد لعب الاستعمار لعبة أخرى لتخفيف تأثير مذبحة 17 يونيو وذلك بتصريح وزير المصالح الصهيونية وزعيم الاستعمار الجديد لوبيز برافو : « ان اسبانيا ستقوم بتقرير مصير الصحراء ولكن في الوقت الذي يطلب ذلك السكان الصحراويون ودون اي ضغط من الخارج » . ولكن متى سيريد السكان ؟ وهل لم يريدوا يوم 17 يونيو ؟

وتكالب نشاط الاستعمار على الاستيطان بكيفية جنونية ـ وان خفضها بداية الفزع ـ كما شنوا حملة مسعورة من ابعاد السكان على كل شيء : عن المنطقة ككل . عن المدن الى البادية . عن المجالات الحيوية في المجتمع . عن البادية نفسها الى البوادي المجاورة . وكان موقف الدول المجاورة التاريخي مشجعا للاستعمار على تطبيق كل خططه . لان الحادثة كانت بمثابة تجربة . وقد استطاع الاستعمار بعد هذه التجربة ان يزيل القناع عن نفسه . وهذا هو سفير اليهود وفي غرب افريقيا وأوروبا لوبيز برافو يقول عند زيارته للعيون في 19 يناير 1972 أمام السكان : « ان الدولة الاسبانية . امام الموقف المتمثل في ولاء سكان الصحراء لاسبانيا وللجنرال فرانكو . لا يمكن ان ترد الا بالاخلاص التام وبدافع واحد هو الاستجابة لمطامح السكان ... ان تكون لنا اتصالات مع جميع دول افريقيا وخاصة مع الجيران . ولكن . الهدف من هذه الأسفار هو قبل كل شيء ان يتركوا الصحراويين واسبانيا يعيشون في أمان وهدوء » .

المغرب وموريتانيا :

بعد الاعتراف بهذه الأخيرة . تبودلت زيارات متعددة على المستوى الرسمي . كزيارة الامير عبدالله في يناير 1971 . والمساعدات المادية التي عملها معه . وزيارة المختار ولد دادة للمغرب . سواء منها زيارات المجاملة او الزيارات الرسمية والتي من بينها زيارة الدار البيضاء .

كل هذه العلاقات الثنائية بين الدول المجاورة . والتي كان فيها من طبيعة الحال علاقات بين الجزائر وموريتانيا هي التي أثمرت مؤتمر نواذيبو الذي فشل في تحقيق ما أشيع أنه يهدف اليه . وأتت محاولة انقاذه في مؤتمر وزراء الخارجية . الثلاث الذي مر بالجزائر . العاصمة . والذي قال في بلاغه المشترك . انه كان يخطط لمؤتمر قمة في الرباط . في مارس سنة 1972 كي يضع مخطط نواذيبو محل التطبيق . ولكننا لم نسمع بعد ذلك عن المؤتمر أي شيء . كما أن البلاغ أعلن أن الصحراء ستتحرر في اطار اقليمي . والدول الثلاث ستتفاوض مع الدول المستعمرة السنة بوضعها متفاوضا واحدا . وقد تبع هذا التصريح المختار الذي يقول فيه . في 11 يناير 1972 . « بانه سيعمل على تحرير الصحراء طبقا لما سيقرره مؤتمر 15 مارس بالرباط » . ولكنه صرح أيضا بعد زيارة وفد مغربي لموريتانيا . مذكرا بمطالبة وايمان موريتانيا بان الصحراء جزء لا يتجزأ منها . ولكنها وافقت على مبدأ تقرير المصير . لان الأمم المتحدة صادقت عليه . وهذا التذكير يشكك فيما توصل اليه مؤتمر الوزراء . ثم تبع هذا زيارة القذافي لموريتانيا . والبلاغ المشترك : « ان ليبيا على استعداد لان تخوض معركة عسكرية لجانب موريتانيا ضد اسبانيا من أجل تحرير الصحراء الخاضعة للنفوذ الاسباني » . وقال العقيد القذافي : « ان ليبيا تقترح على موريتانيا تقديم عون . سواء كان ذلك العون عسكريا . او في اي شكل آخر . وقال القذافي اننا نشكر المختار ولد دادة من أجل الموقف الذي اتخذه نحو هذه المشكلة .. ومن ناحيتنا . فاننا أردنا دائما ان نقيم علاقات طبيعية مع اسبانيا . ولكن ليس على أساس ان تكون اسبانيا محتلة لأراضي أجدادنا . وقال العقيد أن ليبيا على استعداد للاتحاد مع موريتانيا ومع كل الدول العربية التي تسعى لتحقيق الوحدة ... ان اللغة العربية لغتنا . وهي لغة عظيمة . وأشار الى أن القوى الأمبريالية تسعى لان تجعل من موريتانيا دولة تابعة لفرنسا في لغتها . وبذلك تدين اللغة العربية . وبعد هذا البلاغ الذي ارتجت فيه الوضعية التي سقفها مؤتمر نواذيبو . زار القذافي الجزائر . ولم يصدر بلاغ . وسواء كان ذلك نتيجة لهذا أم لغيرها . سواء على المستوى الدولي . او التطورات داخل المنطقة . فان المؤتمر لم يسمع عنه الا ما قالت اذاعة لندن من انه مؤجل لأجل غير مسمى .

اسبانيا والمستعمرون :

منذ توقف جيش التحرير بقيت هناك مجابهة تطغو من حين لاخر . لم تترك للاستعمار العسكري النازي الاسباني الصامدة والمستثمرة والتي تخبو تارة وتتصاعد أخرى . منتظرة دائما نجدة عملية من الجيران . وابتدأت مع طول المدة تتطور . وتتخذ اشكالا تنظيمية . حسب الظروف . وكانت ترفضها وباستمرار التناقضات الجديدة بين الاستعمار والمستغلين الصحراويين . وكذلك ازدياد العنف والتركيز العسكري الذي خولته الامكانيات الاقتصادية الجديدة المكتشفة والوضعية الدولية المساعدة على تركيز الاستعمار داخل المنطقة . خصوصا في الدول المجاورة التي دخلت معه في علاقات مشتركة . وكذلك على المجال العربي المغشوش بشعار مساندة العرب ضد اسرائيل بعدم الاعتراف بها دبلوماسيا .. كأن اسرائيل لا تمت بأية صلة الى أميركا . او كأن العرب لا يعرفون اي شيء عن التطور الذي يحدث داخل اسبانيا ابتداء من سنة 1969 . او باعتبار ان العرب يغذون بعضهم بلحوم البعض الآخر . وقد حتمت هذا العنف الوحشي والتركيز الاستعماري أداة البقاء المستمر في المنطقة . وكان متزعموا هذه التحركات المناهضة للسيطرة هم غالبا العمال واحتياطاتهم من العاطلين . وخصوصا عمال الطرق . ولكن لم تلبث تشكيلة جديدة ان برزت على السطح لتغير المعطيات السياسية في المنطقة . وعلى المستوى الدولي وهي ما أسمت نفسها « بالحزب المسلم » كنتيجة لوضعية 1965 الدولية . انعكاسها على الصحراء . ابتدأ اندفاع جماهيري ينصب في هذا التنظيم على أساس حلف اليمين . وتأدية 2000 ريال اسباني . ثم نسبة من الدخل الشهري . وبقي الحزب يكتسح الساحة الوطنية على جميع المستويات . وداخل سائر الفئات الاجتماعية الصحراوية من جنود وعمال وعاطلين وبدو ... وكانت مبادىء الحزب : ـ التحرر بالسلاح ـ الارتباط بالمغرب . ولم يستطع الحصول على الاسلحة رغم محاولاته مع بعض الجيران . كما ان طريقة تكوينه والمبادىء التي انطلق منها . ولاساليب كوت بها الجماهير لم تستطع تلافي العجز ولا تجاوزه انطلاقا من الامكانيات الذاتية واكبر خطأ ارتكبه هو جمع الجماهير تحت لواء مبادىء غامضة وبدون اساليب لتطبيقها . وهذا هو الذي سبب ان قاعدة الحزب تؤمن بالاستقلال الممنوح والتحرير بدون تضحية . وهذا ما جعل قواعده غير صالحة لنزع تحرير حقيقي عن طريق العنف الثوري . اذا لم تبدل هذه القاعدة مفهومها للحرية ولدورها في تحقيقها وكيف ذلك .

ومع ذلك فقد كانت هذه المحاولة اول محاولة في الفترة الاخيرة تعبر عن ارادة الجماهير في التحرير من رقبة الاستعمار وهيمنة الامبريالية .

كانت اسبانيا تحضر لاستفتاء لتقرير مصير مصطنع . وعبأت له جميع جهودها الاستعمارية وجمهور الامبريالية . فجمعت الصحافة المأجورة الناطقة مسموعة ومصورة ومكتوبة . وجندوا كل امكانياتهم الضخمة . وابتدأوا ينقلون المواطنين في سيارات مخصصة لذلك من جميع المناطق الى العيون بحجة الاحتفال بفشل مؤتمر نواذيبة . والتظاهر للاحتجاج عليه والتلويح « بالرابطة الصحراوية ـ الاسبانية » . ولكن الحزب ايضا بعد ان اطلع على اللعبة المدبرة استقدم انصاره وبنى خيامه في مكان مقابل بخيام الاستعمار وأعوانه . اي في المكان الشعبي «الزملة » في تصميم تام لافشال خطة الاستعمار اللانسانية واللعينة . واحاط به الجماهير سواء العارف بأهداف الحزب او الغير العالم بها وهو الاكثر . وهكذا اكتست العملية صبغة الانتفاضة الشعبية العفوية . ولم يعني الاستعمار والامبريالية وعملائها معزولين بلا مساحق . استعطفوا الحزب عله ينضم اليهم . ولكن الجماهير كانت تريد ما كتبت على لافتاتها . وعلقت على كل خيامها واصبحت تنادي به من الاعماق وهو الحرية والتحرير والسيادة كحق مشروع . تقره كل المبادىء الانسانية . وتنادي به الامم المتحدة وكل المنظمات الدولية . كما هو مفروض ايضا كحق اولي واساسي . وعندما فشلة محاولة الوساطة التي قام بها الشيوخ العملاء . ابتدأت محاولة العنف من طرف قبطان الشرطة وبعض الشيوخ والتي قوبلت بالاحجار وانتهت بان اطلق القبطان الاستعماري النار على شاب صحراوي فألقاه ارضا ملطخا بدمائه . ثم ضرب آخر فكسر رجله . فابتدأت المسرحية بهذا . ثم تطورت الى اصدار الامر الى 12.000 جندي فاشيستي مفجعة باحدث الاسلحة . باطلاق النار على السكان العزل الابرياء . لانه طالبوا باول حق من حقوقهم وهو حريتهم . ودامت المعركة. ساعات وان كان منع التجول استمر لمدة اسبوع . وكان اطلاق النار يتخللها .

ولم يكتف الاستعمار باسقاط السكان المدنيين الابرياء بالاسلحة الأتوماتيكية . بل دفعت به الوحشية الى حرق اربعين مناضلا كفدية لحيفه في معركة الدشيرة . كان الاستعمار اللعين قد اقام هذه المذبحة في يوم الاربعاء يونيو 1970 المشؤوم . ولم ينته الاسبوع حتى كان الاستعمار قد ملأ سجونه من مناضلي الحزب . وشن حملة ارهابية تصفوية للروح التحررية في المنطقة . ثم حمل منظم الحزب بصير محمد الى مكان لا يعلمه الا هو . وقد شملت سجونه الرجال والنساء والاطفال محاولة يائسة منه ان يعطي عظة للمستقبل فيرهب السكان من بطشه . فأخرج الى جانب ما رأينا كل طائراته وسياراته وبواخره من معاقلها . ولكن ذلك لم يزد السكان الا تصميما على الوصول الى حقها المشروع في الحرية والسيادة على ارضها وثروتها او نيل الجنة . فابتدأت الجماهير خطواتها ودخلت في الطريق الحقيقي وهو طريق الحرب المسلحة في وحدات صغيرة رغم قلة الوسائل وبساطتها وبدائيتها . وقد أسس الاستعمار منها واحدة كاملة تتكون من 5 أفراد حصلوا على الاسلحة من ضابط اسباني سنة 1971 . في شهر يوليوز . ولكن الاعمال استمرت رغم القوة الاستعمارية وتخطيط الاستعمار الفاشيستي الهادف الى لحم المنطقة بالاستعمار الاسباني المتوحش . ورغم تشبث الجنرالات الذين وصلوا الى هذه الرتبة الارض العربية المغتصبة وكونوا شركات عديدة على حساب نداء سكانها وعلاجهم وتعليمهم . وخصوصا شركات البناء والملاحة والتجارة والذي يسيل لعابهم على خيراتها ويحلمون بفصلها بعد موت العجوز الدكتاتور فرانكو . او حتى في حياته عند الضرورة . وانشاء نظام روديسيا جديدة في شمال أفريقيا . وعلى الرغم كذلك من الشعارات الاستعمارية التي تسربها اسماع الجماهير في محاولة لكسب الوقت . مثل شعار نحن هنا بارادتكم ان نحن هنا لتكوينكم ثم نخرج عنكم . او نحن لحمايتكم لان الدول المجاورة توسعية وستغزوكم ورغم كذلك الشبهات التي احاط بها الدول المجاورة بادلة تارة وبغير أدلة .

البقية ص 10

مذكرة الوالي (تتمة)

والجدير بالذكر ان شعار « اسبانيا هنا بارادتكم » قد ضربته مذبحة الزملة وحطمته نهائيا كي تظهر للجماهير ان الاستعمار استعمار من اجل مصالحه وان اسبانيا تبني معاملها في مدريد وبرشلونه وملاكا وتأخذ امونال الامبريالية الغربية ومساندتها على حساب ثروتنا . وانهنا هناك كي تمتص خيراتنا . وهذا يوضحه الاسلوب الذي ابتدأت تشغل به الفوسفاط وهو الاسلوب الوحيد من نوعه في العالم . وهو احدث طريقة لسرقة خيرات الشعوب المغلوبة على أمرها والمنومة والتي يخشى الاستعمار من استيقاظتها فحمل ما استطاع حمله قبل وعيانها . كما ان الشعار الثاني « شعار نحن هنا لنكونكم » قد تحطم ايضا خصوصا بعد تقديم طلب المعارضة للاستعمار بتكوين كوادر صحراوية - اي مهندسين في الفوسفاط وفي غيره من المعادن . وكذلك اساتذة قادرين على تعليم جامعي وكذلك اطباء . وسياسيين وخبراء عسكريين صحراويين للدبابات والطائرات الحربية والمدنية . وكذلك تأسيس جيش صحراوي مدرب على كل انواع الاسلحة الحديثة . ورفضه بكل الحاح لذلك . كما رفض طلبي طلب بعض الشباب الذين فطنوا للطريقة الاستعمارية البيروقراطية التي يكون الاستعما بها الشباب الصحراوي وهي الطريق الانسانية التي تحقر الشباب في مجتمعه ويحبب اليه المجتمع الاستعماري كما انه يغرس في رأسه انه لم يولد الا ليحكم ويحكم لمصلحة من ؟ وتحت قيادة ؟ . انه يحكم لمصلحة الاستعمار وتحت قيادته . وضد الصحراويين ! رفض طلبهم في ان يتابعوا دراستهم في الدول العربية .

كما ان الشعار الاستعماري المغالط المستنزف لطاقتنا وهو توجيهنا الى صديقنا بعد ان فرض علينا انه عدونا . وذلك كي يستدرج هو منا وهو عدونا الاساسي والاصلي والرئيسي والابدي . شعار انه يحمينا من الدول المجاورة . فانه كما قلنا شعارا استعماريا ليس الا . اما في اصل الحقيقة فان الشعوب المجاورة لنا هي شعوب عربية افريقية اسلامية أصلية . ومصيرنا هو مصيرها وهي صديق دائم لنا . بل انها جزء منا . وهذه حقيقة خالدة خلود السماء فوق الارض . فنحن عرب وأفارقة ومسلمين فضروري ان نرتبط بالعرب والمسلمين والافارقة والا ضعنا . كما ان الذي يحرر نفسه لن يستطيع احد استعباره . هذه الحقيقة التالية تدحض بكيفية بسيطة ومرئية ما يدعيه الاستعمار بانه يحمينا ولنتساءل ها أقوى الاستعمار وأكثر طائرات ان احد الدول لمجاورة ؟ واذا كان الجواب ان الاستعمار اقوى فان الجواب اذن الصحيح هو اننا اذا طردنا قويا فاننا ايضا نستطيع مجابهة غاز آخر اضعف منه .

هذا ما بلغته جرأة الدويلة الاستعمارية الدكتاتورية الاسبانية . حتى اصبحت تسول لها نفسها بمساعدة الامبريالية الغبية والمواقف المتخاذلة لبعض العرب . وشعار عدم التبادل الدبلوماسي مع اسرائيل ان اصبحت هذه الدويلة تدعي انها تعبر باسم الصحراويين وتسول لها اطماعها الاستعمارية ان تتصور ان الجماهير الصحراوية ستبقى تحت لواء الذل والهوان والصدقية . والسجون ملأ بها وخيراتها تسرق على مرأى ومسمع منها . وهذه الاستهتارات الهرمة هي التي دفعتها الى وضع المنطقة كعمالة اسبانية بتمثيل في الكورطيس بواسطة عملائها المقربين . وبانتخاب بنفس طريقة الانتخاب الاسبانية الفرنكوية الانحرافية منذ 1971 . وعدد اعضائها 40 عضوا يعينون على أساس قبلي . ولكن الاستعمار أشاع حاليا انهم سيصبحون يعينون بما يسميه الانتخاب ونسميه التحايل على ارادة الجماهير التي لن يسير فيها الا عميل يبيع نفسه وتاريخه وشرفه وكرامته ودينه بجزء من خيراته .

بقي ان نشير . ولوبصورة خاطفة . الى نتائج نضالات السنة الماضية بوصفها امتداد لانتفاضات الزملة بكيفية مضحة . وبوصفها ايضا تصعيدا لنضالاتها بعد المذبحة المذكورة . تلك النضالات التي أبانت عن تصميمها من جهة . وعن هادفيتها وجماهيريتها . تلك الهادفية التي ظهرت في استخدام كل أساليب النضال ضد الاحتلال والعبودية من ملصقات ومناشير . وشعارات حائطية . وتظاهرات شعبية وطلقات نارية . وهي التي يمكن ان نقول بحق انها الطريق الوحيد للحرية مهما تكون الصعاب . ثم ان مردودها في مؤتمر القمة الافريقي التاسع كان رديئا لسيطرة الفكر الاصلاحي عليه من جهة . ولانصياعه بعد تزكية اسبانيا الفاشية له من جهة اخرى . بل كان بمثابة كمامة وضعت على الافواه الصائحة : الحرية . ضرب الاستعمار . لولا صوت تحرري باهت . والتعليق في برقية منظمة تحرير الجزر الكنارية الى المؤتمر . وعلى كل حال . فقد تبع المؤتمر موقف جديد للمغرب سيتم منه تنازل عن تقرير المصير . وتسوية للمشكل في اطار امبريالي . كما اعلنت « منظمة رجال الزرق » التواطئية من طرف الدوائر الغربية الامبريالية اي صوت واشنطن . وهنا لندن . وباريس . وانطلقت بتجريم الصحراويين وتهديدهم وطرح شوفيني للقضية . وبسيطة يبين عن حركية مرحلية للمنطمة . ثم تبع ذلك النقاش الأخير في الجمعية العامة للامم المتحدة . والموقف الجديد للمغرب الذي يظهر منه انه رجع الى موقفه الصحيح والاصلي . رغم انه لم يصوت على التوصية التي لا نعرف الى حد الساعة محتواها . وعلى كل حال . فان تحرير الصحراء . او تحقيق تقرير مصير صحيح . هو يحصل من انطلاقة شعبية . اي حرب التحرر الشعبية. مهما كانت صعوبتها ومشاكلها . وفي اطار تحرري وعاديا جدا ومنطقيا اذا قلنا ان اخواننا العرب والتقدنيين والتحرريين المعادين للاستعمار والامبريالية سيقفون الى جانبنا . كما ان المسلمين الحقيقيين ايضا سيشعرون انها حربهم . لانه يظهر من نفس الاستعمار الاستيطاني والعنصري . انه اقتصادي وديني ايضا . اذ يحارب بعنف الافكار الدينية والذي لم يقض علنه مباشرة . يحاول القضاء عليه في اطار التعامل . والله معنا والى الامام لتحرير ارضنا من الاحتلال - الساقية الحمراء ووادي الذهب - او تحرير انفسنا من الذل .

ويشاع ان اسبانيا ستقيم استفتاء لتقرير المصير في السنة القادمة . واننا لنطلب من الرأي العام العربي والافريقي والانساني ان يقف ضد تزوير ارادة الصحراويين والتي لا يمكن سد الباب امام تزويرها الا :

1 - بالاعتراف بتشكيلة شعبية لتسيير المنطقة خلال مدة الاستفتاء .

2 - انشاء حرس أهلي يكون خاضعا للقيادة الشعبية .

3 - خروج الادارة الاسبانية والعساكر الاسبانية الفاشيستية من المنطقة .

4 - الاعتراف بعضوية الصحراويين داخل اللجنة الاممية التي ستشرف على الاستفتاء ■